الحكمة

للدراسات التاريخية

مجلة دولية دورية مستقلة محكمة متخصصة
تعنى بالبحوث التاريخية والآثارية

المجلد الثاني عشر

العدد الاول

2024

المدير العام

الأستاذ الدكتور: عبد القادر تومي

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور: بلقاسم رحماني

هيئة التحرير العلمية

أ.د. محمد البشير شنيتي - جامعة الجزائر
أ.د. شاوش حباسي – جامعة الجزائر
أ.د. هالة أروى - جامعة الموصل – العراق
أ.د. بلهواري فاطمة – جامعة وهران
أ.د. شافية تارن – جامعة الجزائر
أ.د. أم الخير العقون – جامعة وهران
أ.د. خالد كبير علال -المدرسة العليا للأساتذة
أ.د. الطاهر ذراع – جامعة أدرار
أ.د. بوطارن مبارك – المدرسة العليا للأساتذة
أ.د. أحمد الفرجاوي – جامعة تونس
أ.د. خولة شيخة – جامعة حلب – سوريا
د.الطاهر جبلي–جامعة تلمسان
د. سعاد يمينة شبوط – جامعة تلمسان
د. عبد الرحمان بلعرج- جامعة تلمسان

الجمع و التصفيف و الاخراج

سي هادي كريمة

الإيداع القانوني: 0472- 2353

ISSN الرقمي: 2600-6405

جميع الحقوق محفوظة

تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع

العنوان بالجزائر: حي المجاهدين رقم 32 G بن عكنون – الجزائر

العنوان ببريطانيا: 38 Mapesbury road NW2 4JD LONDON.UK

الواتساب : 00213556 01 36 02

kounozelhikma@yahoo.fr

www.kounozelhikma.com

المنحى الفكرى لمجلة الحكمة

مجلة الحكمة مجلة علمية متخصصة تعنى بالدراسات التاريخية وجميع التخصصات المرتبطة بها، وتحاور أسرار الواقع وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور العلمي في تآلف وتناسب بين العقل والتجريب، والفكر والواقع.

تؤكد على قاعدة الحوار كمنهج حياة تقتضيه السنن الكونية، وتبرز التوافق بين الحكمة والشريعة نافية الفصل أو الصدام بينهما.

تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.

تُفضّل البحوث والمقالات الجادة التي تتّسم بالروح الإيجابية والعمل الإيجابي، والتي تثير روح العلم والرغبة في البحث لدى القارئ.

تعمل على ترسيخ وصيانة القيم الأخلاقية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.

تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض.

شـروط النشـر

يسرّ هيئة تحرير مجلة الحكمة للدراسات التاريخية أن تستقبل البحوث والدراسات العلمية المتخصصة في التاريخ والجغرافيا، مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية أو الانجليزية. وتخضع هذه البحوث لمعايير وشروط التحكيم في البحث العلمي الأكاديمي، ومن متخصصين، وتطبق فيها شروط المجلات العلمية المحكمة، وترى أن تكون النصوص المرسلة وفق الشروط الآتية:

أن يكون النص المرسل جديدا لم يسبق نشره. وأن تتوفر فيه شروط البحث العلمي ومعاييره.

ألا يزيد حجم النص على 20 صفحة كحد أقصى، وأن لا يقل على 15 صفحة كحد أدنى، على ورق (16*24)بحجم الخط 15 Sakkal Majalla وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.

أن يصحب المقال بملخص بلغة غير لغة نص المقال (فرنسية او انجليزية)، (150-200كلمة).

يرجى من الكاتب إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.

تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة العلمية قبل إجازتها للنشر.

المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.

تحتفظ المجلة بحقها في نشر النصوص ورقيا وإلكترونيا وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.

هيئة تحرير المجلة ليست مسؤولة عن أي سرقة علمية أو سوء تهميش يقع فيه الكاتب.

لا تتبنى المجلة اتجاهاً أيديولوجيا محدداً، ولا تخضع لقيود غير قيود العلم ومعاييره الأخلاقية.

لذلك فالنصوص التي تنشر في المجلة تعبّر عن آراء كُتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان التالي: **kounouzelhikma@yahoo.fr**

الرقم	المقال	الصفحة
الافتتاحية	بقلم الاستاذ الدكتور بلقاسم رحماني	7-4
01	**قراءة تاريخية في خروج وتيه بني إسرائيل بين المصادر الدينية والبحوث الأثرية** **أ. د/بلقاسم رحماني جامعة الجزائر02 (الجزائر)،**	36 -08
02	**التنظيمات السياسية والعسكرية لمملكة نوميديا خلال حكم يوبا الأول (60-40) ق م** **أ/ عبد الجليل والي جامعة سطيف 02 (الجزائر)،**	58 -37
03	**النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م** **د/ مرزاق بومداح[1] المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة (الجزائر)**	78-59
04	**النشاط الخارجي للثورة الجزائرية على مستوى هيئة الأمم المتحدة من خلال جريدة المجاهد** **الدكتور: أورنيدي طيب جامعة معسكر**	99 -79
05	**إستراتيجية استغلال الماء في أنظمة البستنة والمتنزهات في المغرب الأوسط بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10-14م).** **د. البشير بوقاعدة المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.**	126-100

الافتتاحية

تعد القضية الفلسطينية التي أسالت الكثير من الحبر سواء على الصعيد الإعلامي العربي أو الغربي، و كذلك على صعيد الكتابة التاريخية، و أمام زخم هذه الكتابات، فإن عدد من المؤرخين ، و أمام تطورات الأحداث في هذه المنطقة، فإنه من الضروري إيجاد منهجا جديدا في قراءة تاريخ فلسطين و كذا إعادة النظر في المنهجية التاريخية لإعادة كتابة تاريخ هذه المنطقة المقدسة ، ذلك أن علاقة فلسطين و التاريخ بل و الكتابة التاريخية توصف بالعلاقة الخاصة جدا ، وذلك الطرح مبني على أن الصهيونية مشروعا سياسيا جعل من التراث اليهودي، الواقعي أو الأسطوري أساسا لاستيلاد أمة ،و إقامة دولة على حد تعبير الباحث وليد الخالدي، في كتابه: (قبل الشتات التاريخ المصور للشعب الفلسطيني_1876_1948) ، حيث أن الصهيونية لم تفرض على الفلسطينيين و العرب الآخرين أن يجعلوا من التاريخ سلاحا من أسلحة المواجهة المتواصلة منذ أكثر من قرن ، و إنما فرضت على كتاباتهم بشكل أو بآخر موضوعاتها و محاور بحثها على حد تعبير الباحث ماهر الشريف و الذي نخلص من خلال دراسته لمشروع إيميل توما ، و الذي تضمن أربعة عشرة مؤلفا، عمل على مخالفة الرواية الصهيونية، مبرزا استمرار الوجود الفلسطيني كشعب على أرضه و انتمائه العربي ، و نضاله من أجل تحقيق استقلاله، و دحض المقولة الصهيونية (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، و الاسطورة القائلة أن الشعب الفلسطيني لم يكن يمتلك قبل بداية الهجرة و الاستيطان اليهوديين أية خصائص ثقافية مميزة ، و أن

حركته الوطنية لم تكن سوى عن ردة فعل الاقطاعيين التقليديين العرب تجاه عمليـــــة " التحـــــديث"التي شـــــرعت فيهـــــا الصـــــهيونية (مـــــاهر الشريف 1991،ص284_312)

إضافة إلى أن طبيعة القضية الفلسطينية ذات أبعاد دينية و سياسية، كانت وليدة فترة الإستعمار و الحركات القومية حيث شهدت أرض فلسطين صراعا بين الاستعمار البريطاني، و الحركة الصهيونية، و الحركة التحررية الوطنية الفلسطينية ، و ذلك ضمن مسارات تاريخية من بداية الاستيطان 1882و و انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي 1897، و تدفق الهجرة الثانية في منتصف القرن العشرين، إلى صدور وعد بلفور المشؤوم، و خروج قوات الجنرال اللنبي من القدس في أواخر 1917.

من هنا وقع عدد من المؤرخين في فخ المدرسة التاريخية التوراتية، و التي أثرت في الكتابة التاريخية لدى الغرب و الدعوة للعودة إلى فترة التاريخ القديم لتبرير مشروعية الفكرة الصهيونية بإقامة دولة يهودية في فلسطين (للتوسع انظر: حيث وايتلام إختلاق إسرائيل القديمة ، 1999 ص 249)، و عليه فان هذه المدرسة أثرت بصورة كبيرة على مضمون الكتابة التاريخية العربية على اختلاف طروحاتها، نذكر منها لمن يريد أن يتوسع كتاب : كمال صليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب ، بيروت 1986،معتبرا أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن فلسطين إنما في غرب شبه الجزيرة العربية بالقرب من البحر الأحمر، و الباحثة نو يهض الحوت ، و كتابها فلسطين القضية الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين، بيروت 1991، حاولت أن تبلور رواية مغايرة للتوجة التوراتي ، و دعت إلى إعتماد رؤية شاملة في دراسة تاريخ فلسطين كقضية سياسية في المقام الأول أطلقت عليها تسمية " فلسطينولوجيا" ،و نجد أن عددا من المؤرخين الإسرائيليين دعوا الى إعادة كتابة تاريخهم تحت مسمى ،(التأريخ الجديد)منهم " بني موريس"في دراسته: التأريخ الجديد: إسرائيل تواجه ماضيها سنة 1988 في دورية Tikkun ،

الصادرة في نيويورك، حيث سعى مع زملائه إلى إعادة النظر في الرواية الرسمية للصراع العربي الإسرائيلي .

من هنا نلاحظ أن الكتابية التاريخية العربية بعضها لازال رهين الدراسات التوراتية أو الطروحا الغربية الاستعمارية، و كما انها تعاني من شح المصادر الأولية ،رغم ذلك فإنها تحلت بنوع من الروح النقدية خلافا لما ذهبت إليه الدراسات الإسرائيلية، كما نسجل دعوة عدد من المؤرخين إلى الاهتمام بتاريخ الشعب الفلسطيني و ليس فقط التركيز على القضية، رغم ذلك فلقد برزت دراسات حديثة الآن تغطي هذا النقص من ذلك التركيز على جرائم الاحتلال الإسرائيلي المختلفة في القرى و المدن و المخيمات ،و إبراز أهمية عودة الفلسطينيين إلى أرضهم من منفاهم، و الواقع أن كتابة التاريخ الفلسطيني ،و ما صدر من دراسات عنه يجعلنا نفرد لها موضوعا مستقلا في المستقبل القريب .

أعزائي القراء احتوى عدد هذا المجلة على دراسات و إسهامات تاريخية، توصف بالجادة ذلك أنها غطت مراحل تاريخية مختلفة، سواء ذات البعد الحضاري، أو السياسي، من الفترة القديمة إلى المعاصرة، و ما يلاحظ أيضا أن هذه الدراسات في معظمها اعتمدت على استنطاق المصادر ذات الصلة بالموضوع مما يعطيها مصداقية تاريخية و علمية أكثر، و هذا ما نرجو من باحثينا، و هو العودة للأصول و لا نكتفي بالنقول المتاحة لنا من قبل المترجمين، و عليه فهذا العدد يستحق القراءة و الاطلاع على محتوياته بل و اقتنائه ،على أمل أن نلتقي بكم في عدد قادم بمواضيع جادة ، و نوعية ،تقبلوا منا أخلص التحيات .

الأستاذ الدكتور

رحماني بلقاسم

قراءة تاريخية في خروج وتيه بني إسرائيل بين المصادر الدينية والبحوث الأثرية

A historical reading of the exodus and wandering of the Beni Israel between religious sources and archaeological Research

أ. د/بلقاسم رحماني

[1] جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، rahmanibzh@gmail.com

تاريخ الاستلام: .29./../2024/04 تاريخ القبول: ..30../..2024/04 تاريخ النشر: ..30../..2024/04

ملخص:

شهد تاريخ بنو إسرائيل أحداثا مفصلية عديدة لا زالت راسخة في ضميرهم الجمعي، من هذه الأحداث، حادثة خروجهم من مصر، وكذا تيههم في صحراء سيناء لمدة أربعين سنة، إضافة إلى تلك المعجزات الربانية التي توالت عليهم هناك إلى غاية دخولهم الأرض المقدسة، ويتعرض مقالنا لهذه الأحداث معتمدا على المصادر الدينية والدراسات الحديثة، إضافة إلى التطرق لنماذج من الأبحاث، والدراسات الأثرية والتاريخية العربية، وكذا الإسرائيلية حول حادثة الخروج والتيه، مستعرضين آراؤهم فيها.

كلمات مفتاحية: الخروج، التيه، سيناء، الأرض المقدسة، إبراهيم عليه السلام، موسى عليه السلام، فرعون، مصر، القرآن، التوراة.

Abstract:

The history of the Beni Israel witnessed many pivotal events that are still firmly rooted in their collective conscience. Among these events is the incident of their exodus from Egypt, as well as their wandering in the Sinai desert for forty years, in addition those divine miracles that accompanied them until they entered the Holy Land. Our Article presents these events based on religious history and knowledge of the Garden ,in addition to the printed examples of Archaeological and history from modern Arab and Israeli archaeology and historical studies on event and their experiences , it reviews their opinion on it.

Keywords: Beni Israel, Exodus , the wanderings ,the Holy Land, the Prophet Abraham , the Prophet Moses , pharaoh , Egypt , the Quran ,the Torah **.**

***المؤلف المرسل: الأستاذ الدكتور: بلقاسم رحماني**

1. مقدمة

إن تاريخ بني إسرائيل بمختلف مراحله يعد لازمة للأحداث التي شهدها العالم الإسلامي والوطن العربي، خاصة مشرقه، وذلك منذ أن أعلن حاخاماتهم ووفق نصوص توراتهم بأن فلسطين هي أرض الميعاد، وأن كيانهم يمتد من الفرات إلى النيل، منذ ذلك الزمن ومنظريهم وساستهم من المتدينين والعلمانيين، وهم يبحثون عن وطن قومي يؤويهم، ويجمع شتاتهم، وينشؤون لهم كيان مُعترف به من قبل الهيئات الأممية، والقوى العظمى.

نحاول في هذا المقال أن نستعرض في قراءة تاريخية ببعض التحليل كيف أن اليهود تمكنوا من أن يجتازوا هذه المراحل من تاريخهم مركزين على خروجهم من

مصر، بين مضامين النصوص الدينية التوراتية، والنصوص القرآنية، وكيف جاء ذكر خروج و تيه بني إسرائيل في الدراسات التاريخية والأثرية العربية والإسرائيلية، وأيضا تشتتهم فيما بعد في مختلف أنحاء العالم،حيث انصب اهتمامهم على إيجاد وطن قومي للم شتاتهم، فاختاروا مناطق عديدة إلى أن تمكنوا وبدعم من القوة الاستعمارية البريطانية من السيطرة على فلسطين، وإنشائهم لهذا الكيان الغريب عن المنطقة وشعوبها، وقيامهم بسلب أراضي السكان الأصليين وتهجيرهم، وفتح المجال أمام تكاثر حركة الاستيطان في إطار مشاريع توسعية كبرى تجاوزت جغرافية فلسطين، وذلك لتحقيق مقولتهم (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل)، (سفر التكوين: 15: 18-21)، وكذلك(سفر التثنية1 :7)، و(سفر العدد34 :1-15)، أو(سفر حزقيال47 : 13-20).

وفي هذا المقال نركز على حادثة التيه، وخروجهم من مصر انطلاقا من المصادر الدينية، وهي التوراتية والقرآنية مع التأكيد على أن أغلب الدراسات تركز على حادثة الخروج أكثر من واقعة التيه، مع التعرض لآراء الدراسات العربية من أثريين ومؤرخين، وكذا نتناول أهم الدراسات العبرية أي الإسرائيلية في الموضوع، ونحاول التركيز على أهمها، والتي لاقت صدى كبيرا في الأوساط العلمية العالمية.

2. تيه بني إسرائيل من خلال المصادر الإسلامية

يُعد القرآن الكريم أهم مصدر ديني تحدث عن خروج بني إسرائيل، حيث أن موسى عليه السلام خرج بقومه ليلا بأمر من الله، وذلك في قوله تعالى: **(فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ)** (سورة الدخان، الآية: 23). وقوله تعالى: **(وَأَنْجَيْنا مُوسى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67).** (سورة الشعراء، الآيات: 65-67). فأنجى الله عز وجل موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وأهلك فرعون وجنوده.

تحدثت الكثير من الدراسات عن واقعة التيه، وحادثة الخروج التي حلت ببني إسرائيل، كما ذكرتها الكتب المقدسة، التوراة والقرآن الكريم، وقبل ذلك نحاول أن نُوضح معنى كلمة التيه، فلقد جاءت في بعض التعاريف منها أن التيه يعني الخروج أي المغادرة، ومن يرى أن لفظة التيه عندها معنيان يتنازعانها، فمن التيه عجب وافتخار، ومن التيه شرود وضلال، وجاءت في معجم المعاني بعدة صيغ منها: التيه: المفازة لا علامة فيها ليهتدي بها.. ، أرض تيه: مضلة، وأرض تيهاء : الأرض الواسعة التي يضيع فيها الإنسان.. وولد تيه: ضال ..، وبلد أتيه: لا يهتدي إليه ولا فيه (الأصفهاني، 2008،ص169) وجاء في قاموس الكل أن كلمة التيه تعني : .. الصلف و الكبر، والضلال، وأرض تيه: مضلة، وتيهه: ضيعه قاموس الكل)، وجاء في المعجم الوسيط: .. التيه الصلف والكبر، أو ضال ومتحيرا (المعجم الوسيط، 1972، ج8،ص ص4-8). وجاء في معجم لسان العرب: ...التيه يعني الضلال (ابن منظور، 1414هـ، ج13، ص181).

من هنا يظهر وأن كلمة التيه تعني الضياع، وهو ما حدث لبني إسرائيل منذ أن خالفوا أوامر الله عز وجل، ونبيه موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم (ابن كثير، 2015، ج7، ص305). بضرورة محاربة الجبابرة في فلسطين فعاقبهم بالتيه أربعين سنة.

ومن المصادر الإسلامية التي تحدثت عن ذلك نجد ابن كثير يذكر أن الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني إسرائيل إلى بيت المقدس لمحاربة الجبارين فرفضوا بعد أن سمعوا بقوتهم وجبروتهم إلا أثنين منهم هما" يوشع وكالب" (ابن كثير، 2015، ج7، ص83). ولقد ورد ذكر النداء من موسى عليه السلام لأهمية الأمر الذي يطلب منهم تنفيذه، وهذا في قوله تعالى:(**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ...**) (سورة المائدة، الآية: 21) فلما رفضوا غضب و دعا عليهم قائلا :(**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي**

فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (سورة المائدة، الآية: 25) فقال تعالى: **(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)** (سورة المائدة، الآية: 26).

ونخلص إلى أن بني إسرائيل بعد أن شهدوا عدة أحداث منها قصة جبل الطور ثم جاءهم الأمر بالانتقال إلى فلسطين لمقاتلة جيش الجبارين في أريحا ، إلا أن الذين استطلعوا أخبار الجبارين و هم إثنى عشر نقيبا ، عشرة منهم عظموا خطر و قوة هؤلاء القوم،و أذاعوه بين عشيرتهم إلا أثنين لم ينكثوا العهد بعدم إخبار قوهم، وهما: " يوشع بن نون"، و"كالوب أو كالب بن يوفنا" اللذين أخبرا فقط موسى وهارون عليهما السلام، ولقد ذكر القرآن الكريم ذلك بصورة عامة (**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)**. (سورة المائدة، الآية: 12).

ويرجح بعض الدارسين قائلا: (ولعل الذين جبنوا عن لقاء الجبارين وقتالهم بالغوا في وصف قوتهم ليعطوا لأنفسهم العذر المسوغ في عدم قتالهم...). (محمد منير الجنباز،2021، ص10)، إلا أن موسى عليه السلام حاول معهم بطرق عديدة لمحاربة الجبارين، وإلا فلن يؤيدهم الله، رغم ذلك رفضوا الحرب. وفي ذلك يقول الله تعالى: (**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)** (سورة المائدة، الآية: 22).

ومن هنا كرهوا القتال، والشهادة التي تعزهم وتُذهب عنهم الذل والخنوع، ولم يستحب إلا اثنان هما: " يوشع بن نون" ،و" كالوب أو كالب بن يوقنا" بالرغم من أن موسى عليه السلام ذكرهم بأنْعُمِ الله عليهم **(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)** (سورة المائدة، الآية: 21). أي يخسرون التأييد الإلهي، ويفقدون الأرض المقدسة، وخيراتها، ويبقون في

الصحراء المقفرة، وكان ردهم كما قال تعالى:(**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**). (سورة المائدة، الآية: 22). ولما أصر موسى عليه السلام، و" يوشع، وكالوب" على تلبية أمر الله ودعوة رسوله رفض أغلبيتهم قائلين: (**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ**)، (سورة المائدة، الآية: 24).، وهو تأكيد، وتصميم على عدم دخولها، ورفضوا تنفيذ الأمر الإلهي فشكاهم موسى إلى ربه قال: :(**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**) (سورة المائدة، الآية: 25).

من هنا أظهر بنو إسرائيل تمردهم، فما كان من موسى وأخيه عليهما السلام إلا أن نفذوا الأمر، وكتب عليهم الله تعالى: (**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**) (سورة المائدة، الآية: 26). من هنا كان عقابهم الضياع والتيه، ومن هنا يقول أحد الباحثين: "أربعون سنة كانت عقابا لهم على جبنهم ... وهذه السنين سيتغير جيل الخائفين وسينشأ أقوى قلبا... يخرج من الصحراء القاسية ...يقتحم المخاطر بجدارة مع رسوخ في العقيدة تمسك بها (محمد منير الجنباز،2010، ص20).

وأما عن حياتهم في التيه فإن الله عاقب جيلا بالهزيمة والذل، وليس بالإبادة إنما ليخرج منهم جيلا صلبا شجاعا. قال تعالى: (**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**). (سورة الأنعام، الآية: 89). فكانت الصحراء ابتلاء حقيقيا، حيث الحرارة وندرة المياه، والتي كثيرا ما كانت سبب صراعات دموية بين سكانها. ولبى الله تعالى طلب موسى عليه وسلم، وخص لكل عشيرة مصدر ماء تجنبا لتشتتهم وصراعهم (**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ**

أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ). (سورة البقرة، الآية. 60) وبالتالي خص لكل قوم عينا، وضمن الله لهم الطعام **(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَ أَنزلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)**. (سورة البقرة، الآية:57).

كذلك فإن الله تعالى طلب منهم دخول بيت المقدس سُجَدا مع الدعاء والذكر إلا أنهم لم ينفذوا هذا الأمر كما طلب منهم قال تعالى: **(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)**. (سورة البقرة، الآية:58). لكنهم خالفوا مرة أخرى الأمر الإلهي ودخلوا زاحفين على مقعدتهم وواجهوا القبلة بأدبارهم، وهم يقولون حبة في شعرة بدلا من أن يقولوا "حطة " أي. حُط الخطايا عنهم فجاء الرد الإلهي **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)**. (سورة البقرة، الآية:58).

وبالتالي وجدوا أنفسهم في صحراء سيناء مرة أخرى، والملاحظ أنه كلما عفا الله تعالى عنهم عن معصيتهم اقترفوا معصية أخرى، وكذلك فإنهم رفضوا المن والسلوى(الطبري290/ 961)، وأبوا أكل الفقراء، والمزارعون جاء ذلك في سورة البقرة الآية 61، ،فلبى الله طلبهم **(اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ)**. (سورة البقرة، الآية:58).

من هنا نخلص إلى أن التيه هو إحدى عقوبات الله عز وجل على مخالفة أمره وأمر أنبيائه، فإن بني إسرائيل مع إيمانهم بالله عز وجل في ذلك الوقت، وكانوا شعب الله المختار. (أنداسويس مزقول إسماعيل، 2014، ص ص1-25)'، وكان فيهم نبي من أولي العزم إلا أنهم لما تخلفوا عن الجهاد فعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة.

ونذكر هنا أن النقباء ماتوا كلهم في التيه غير "كالب ويوشع "، ولم يدخل الأرض المقدسة كل من قال إنا لن ندخلها، ومات هارون عليه السلام قرب نهاية التيه، ثم مات موسى عليه السلام بسنة بعده، وهناك أقوال أخرى حول تاريخ وفاته (ابن الأثير، 1938، ج1،ص172). واستخلف عليهم النبي "يوشع " عليه السلام، ودخلوا الأرض المقدسة تحت قيادته، وتذكر بعض الدراسات أنهم دخلوها من ناحية الأردن منها. (دحيل عبد الله، 1998 ، ص 21)" 32"،و(ابن القيم، 1996، ص ص24-19).

3. الخروج بين النصوص التوراتية والدراسات الأثرية:

يُلاحظ بداية أن الحركة الصهيونية باعتبارها دعوة قومية عملت على تأويل التاريخ كل ما له علاقة بالأرض والشعب، لتأصيل ما تعتبره شرعية تاريخية يترتب عليها حقوق مادية، ومعنوية دينية وقانونية، حيث أصرت الصهيونية العالمية على التأكيد أن التاريخ الإنساني اليهودي هو نفسه التاريخ الديني العالمي، كما اعتبرت أسفار العهد القديم هي تاريخهم الديني والإنساني، ولقد لجأت إلى التأويل والانتقاء كأساس في فلسفة هذه الحركة من أجل تعبئة أتباعها، وكذلك من أجل دعمها لنشاطها بمواردهم مما يمكنها من خدمة إستراتيجيتها الإعلامية الدعائية مع مختلف الجماعات اليهودية، وحتى غير اليهودية إضافة إلى اختيار لغة الخطاب الذي تستخدمه والمغلف بنصوص دينية منتقاة لترسيخ فهم معين للحركة الصهيونية، وتاريخهم الديني الذي قدموه للعالم وكذلك لأبنائهم.(أمين إسكندر ، 2000 ، ص ، باهر عبد العظيم حماد ، ص ص 1 -31).

لقد كان منطلقهم من هذه القناعات، حيث شرعت نخبة من رجالهم الدينيين في التأسيس لمقولات عديدة، وتثبيت تاريخ موحد يظهر الدور البارز للشعب اليهودي، وكان عماد ذلك النصوص التوراتية التي تؤكد أنه في الألف الأول قبل

الميلاد تشكلت حضارة و هوية اليهود القومية ، و أنه حتى خلال مراحل تشتتهم لم ينس الشعب اليهودي توراته ،و أرضه بل ظل وثيق الارتباط بهما (أمين إسكندر، 2000، www.albayan.com).

يظهر من خلال أسفار العهد القديم أن تاريخ الشعب اليهودي يبدأ قبل 4000 سنة وبعض الدراسات تذكر حوالي 2000 سنة ق م أي مع ميلاد إبراهيم الخليل عليه السلام، و ولده إسحاق، وحفيده يعقوب، وتذكر عدة دراسات أنه في القرون الأولى من هذه الفترة غلبت على الشعب اليهودي حياة البداوة، والترحال)إسرائيل ولفنسون ، 1927، ص 15)، كما ذكر أيضا في سفر التكوين- ('سفر التكوين3: 12 ، 3: 6 و 13:32- سفر الخروج/6/3 32:13)،حيث أشار إلى دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبارهم المؤسس لشعب جديد، إلا أننا نلاحظٍ أن الرواية التاريخية التوراتية تجاهلت ابنه إسماعيل عليه السلام، وكذلك أبنائه من زوجته الكنعانية قطورة .

والملاحظ أنه عندما أصيبت البلاد بالقحط انتقل يعقوب " إسرائيل " مع أبنائه الإثنى عشر " الأسباط" إلى مصر وذكرتها التوراة بأرض جوشن، (.التكوين 45 : 10)، حيث أقاموا في شرق الدلتا ، وكان ذلك في عهد أخيهم يوسف عليه السلام، وتذكر الرواية التوراتية أنه فيما بعد تم اضطهادهم من قبل حكام مصر بذريعة تعاونهم مع الهكسوس عندما غزو مصر.(سفر الخروج : 1-5،2....14)، كما يذكر المؤرخ يوسيفوس ذلك أيضا (طالب منعم منعم حبيب الشمري، فيحاء كاظم جالي الطرفي، 2018، ص ص 1495 -1506).

وأما عن الخروج فإن الرواية التوراتية الواردة في (سفر الخروج .16: 1/ 19:1 ، سفر العدد 33: 38)، تذكر أنه بعد أن عانوا من العبودية 400 سنة أو أكثر - بين القرنين الثالث عشر و الرابع عشر ق م فإن الله بعث لبني إسرائيل نبيا هو موسى عليه السلام لإنقاذ الشعب الإسرائيلي من العبودية، والعودة إلى" أرض إسرائيل "

التي وعد الله بها آباءه " وخلال رحلة العودة تاهوا في الأرض وهاموا على وجوههم أربعين سنة، وهي سنوات التيه، وأثناءها نزلت على النبي موسى عليه السلام كلمات " التوراة " (الخروج 16...) بما فيها الوصايا العشر، أو شريعة موسى عليه السلام، التي أصبحت دستورا لبني إسرائيل.

كما أن الخروج من مصر يعد من الأحداث الهامة التي ترسخت في الذاكرة الجماعية لبني إسرائيل ، حيث أنهم يحتفلون به سنويا باعتباره عيدا لتخلصهم من العبودية و تعرف هذه المناسبة لديهم ب " عيد الفصح "، كذلك فإنهم يحتفلون بعيد ثان المعروف باسم " الأسابيع – شفو عوت" (الخروج23: 16 ، 34: 22 ،العد 28 :26 ..)،أو بمناسبة نزول الوحي على النبي موسى عليه السلام في سيناء، ممثلة في الشريعة اليهودية، كذلك فإنهم يحتفلون بعيد أخر يتذكرون فيه خروجه من مصر، والتيه في صحراء سيناء يعرف لديهم بـ: " العرائش- سوكوت- "(التثنية، الإصحاح 16).

نلاحظ أن هناك اختلافات، وتناقضات كثيرة حول حادثة الخروج ،و تاريخ خروج بني إسرائيل ، وكذا الطريق المتبع للخروج ، حيث تناولته دراسات عديدة ، و من عدة جوانب ، خاصة التاريخية ،و الأثرية ، و الدينية ، إضافة إلى الدراسات المقارنة ، المتعددة ، و لقد حاول المهتمون التوصل إلى تاريخ الخروج (فيصل بن علي الكاملي ، 2024، ص 12)، وبالتالي تحديد اسم فرعون موسى (سعود بن عبد العزيز، ص 51)، وباعتبار أن بني الإسرائيليين دخلوا مصر قديما حتى و تواصل الدراسات حتى عهد طالوت ، و ذلك لتحديد عهد موسى، وباعتبار أن بنو إسرائيل دخلوا مصر أيام حكم عهد الهكسوس الذي بدأ سنة 1730 (عبد الرحيم ريحان ، 2017 ، ص).

واستمروا في مصر بعد وفاة يوسف سنة 1635 ق م إلى أن تم طرد الهكسوس من طرف القائد العسكري أحمس – 1570-1545 مؤسسا بذلك للأسرة 18، وبداية المملكة الحديثة التي دامت حتى 1078 ق م، وهناك دراسة تحليلية عميقة أماطت اللثام عن ذلك. (إبراهيم محمد مهران، 2009، ص ص 15 - 20).

وأما عن فرعون موسى فهناك آراء عديدة ذكرت في الموضوع، ومن ذلك ذكر يوسيفوس (محمد السيد عبد الغني، 2020 ، ص 19- 40) أن أحمس الأول، واستنادا إلى ما أورده مانيتون (محمد السيد عبد الغني ،2020 ، ص ص11- 19) أن العابير وهم الخابير وهم العبرانيون، وهم بنو إسرائيل، وهم الهكسوس الذين حكموا مصر نحو1567 ق م، (رشيد البدراوي 1998، ج 4 ،ص6660-661 ،ِسليم حسن ، 2019 ،صى207-239)، وهذا يتنافى مع شواهد تاريخية عديدة منها دخولهم أثناء حكم الهكسوس،(محمد أبو رحمة 2013، ص 14- 24)، وكان يوسف عليه السلام وزيرا، وِرأي أخر يذكر أن تحتمس الثاني هو فرعون موسى (رشيد البدراوي، 1998، ص 62د) من خلال حساب تقويمي، والتوراة لم تذكر فرعون موسى فذلك، كما ذكروا تحتمس الثالث بناء على نص توراتي (سفر الملوك أول1 :6)، في حين تذهب أراء أخرى أن إخناتون هو موسى باعتبار أنه دعا للتوحيد، ثم دخل في صراع مع – توت حنخ أمون – فلجأ إلى بني إسرائيل فتحدث لهم ملحمة الخروج، (أحمد عثمان المصري، 2002 ،ص 119)، و هو عكس ما أورده القرآن الكريم كما ذكرنا سابقا .

كما أن سجموند فوريد ذكر أن" توت عنخ أمون" هو فرعون موسى و أن موسى مصري ،ة و ليس إسرائيلي و ديانته مأخوذة من إخناتون (سجموند فوريد 1982 ، ص 134، 298 و سليم حسن -2001،ج 7 ص 147) في حين ذهب آخرون إلى ذكر رمسيس الثاني هو فرعون الاستعباد ، و فرعون مرنتباح هو فرعون الخروج

(علي جمعة، 2020 ص5)، وأن خروجهم كان سلميا ،(عادل حسين الرحامنة،1998 ص 305-368)"58" و اعتمد هذا الرأي على ما جاء في لوحة مرنتباح " ...وإسرائيل خربت و ليس بذر " (محمد رجب سيد ،2021 ، ص 23-40)، والترجمة الحرفية لدى بعض الباحثين " يسريل "وقد تعني شعب إسرائيل، وأو أرض إسرائيل (سليم حسن، 2001، ج 7، ص 96).

وفي حين يرجح الكثير من الباحثين " أولبرايت، أونجر، إسفلت، الأب ديفو ..."، أن رمسيس الثاني هو فرعون موسى، لكن هذا الملك كان لديه أكثر من 100 طفل بين ذكور و إناث لكنهم يموتون رضعا، وذلك خلال عشر سنوات من زواجه فتبنى موسى (سليم حسن ،ج7 ص 135).

-**زمن الخروج** : انطلاقا من الآراء السابقة وقع الاختلاف حول زمن الخروج ، ورجح كثيرون أن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني، وحسب أولبرايت فالوجود الإسرائيلي في فلسطين كان حوالي 1200 ق م (اولبرايت1971، ص 53 - 130)، وحاولت الدراسات التوراتية والأثرية تدقيق ذلك بين 1200 – 1000 ق م،(تومسون ل ،1955 ، ص 24 ، و1995 ، ص277) أو سنة 1227 ق م (سليم حسن ،2001، ج 7ص 120)، إضافة إلى رأي التوراة في (سفر الخروج – 12 : 4)65"، أما لويس عوض فيذكر أن دخولهم مصر كان في 1447 ق م ، (إسماعيل الصماد ، 2005، ص 112).

-**العدد:** أما عن العدد فلقد بالغ التوراتيون، سواء رجال دين، ومؤرخيهم، وأثريهم، وذلك بأن قالوا أن عدد الإسرائيليين 2 مليون أو يزيد (القس منيس عبد النور وآخرون 2001، ج5، ص 210). ورأي آخر قال أن الذين دخلوا مصر كانوا سبعون نسمة (التكوين: 46)، والمسعودي يذكر 70 راكبا يعقوب وولده (المسعودي، 1972، ج 1 ، ص ص49 -52). وعندما توفي يوسف عليه السلام كان عدد قومه 80

نسمة، أما الذين خرجوا فيذكر بن الأثير 600.000 نسمة (ابن الأثير،1971، ج1، ص ص 130-140) أما ابن كثير فيذكر عددهم 00.000 6 سوى الذراري، وذلك حسب ما جاء في التوراة، وأنهم تحركوا نحو الأردن بعد خروجهم من مصر، والذين خرجوا هم الأفراد الأكثر من العشرين سنة فما فوق، عدد 617.730 نسمة (سفر العدد: 26)، ورأي آخر يذكر أكثر من مليوني نسمة،(فوزي محمد حميد ،1993، ص 17)، و هي دعوى مبالغ فيها، ولا يمكن تصديقها، إذ أن ذلك يعني أنهم تضاعفوا خلال مكوثهم في مصر قرابة ثلاثين ألف ضعف، إذ كان عددهم عند دخولهم مصر ،سبعين نفسا، و هنا يذكر الله تعالى قول فرعون **(إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ)**، (الشعراء، الآية : 54)، كذلك تحرك مليوني شخص في ليلة واحدة مستحيل، إذا علمنا أن في هذا العدد أطفالا ونساء وشيوخ. إلا أن بن خلدون فند ذلك بمنهج تاريخي رصين ليؤكد أن ذلك مبالغ فيه، فهم بذلك تجاوزوا كبرى الإمبراطوريات آنذاك كالفرس مثلا (ابن خلدون، 2014، ج2، ص 10)، وعدد كبير من المؤرخين رفضوا هذا العدد.

4. خروج بني إسرائيل الخروج بين الباحثين العرب والإسرائيليين:

إن خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة النبي موسى عليه السلام يعد حدثا محوريا في تاريخ هذا الشعب، حيث سجلته الديانات السماوية الثلاثة، ورغم أهمية هذا الحدث التاريخي إلا أن الكتب، والوثائق التاريخية لم تذكره، في حين بقيت نصوص الكتب المقدسة ظلت مصدرا أساسيا ووحيدا، والذي زود المؤرخين، وعلماء الدين بالأحداث التي جرت في تلك الفترة .

والملاحظ أن عددا من المؤرخين على اختلاف توجهاتهم فإنهم رأوا أن هذه الحادثة ليست لها قيمة تاريخية، وبالتالي شككوا في حدوثها أصلا، وأرجعوا ذلك إلى التناقضات المسجلة في نصوص الروايات الدينية الخاصة بهذه الواقعة.

إن المؤرخين المعاصرين ومنهم مثلا علماء المصريات، والآثار القديمة كان موقفهم متحفظا بل لدى بعضهم موقفا متشددا في الأخذ بروايات النصوص الدينية التي روت وقائع خروج بني إسرائيل من مصر، وحادثة التيه، حيث أنهم أكدوا على أنهم لم يعثروا على ما يؤكد وقوع هذه الحادثة، وهنا يذهب أحد المؤرخين إلى التأكيد أن الغموض العلمي ظل يحيط بحادثة الخروج، وبالتالي أنتج كثيرا من المقترحات، والفرضيات، والمتداولة بشأن كل تفصيلة من تفاصيلها (محمد يسري أبو هدور 2018 ، ص 27) .

من هنا نجد أن هذا الرأي وجد تأييدا بين علماء اليهود ، من ذلك نجد الباحثان: " زائيف هرتسوغ "، و" إسرائيل فنكلشتاين " و هما مختصان في الآثار القديمة و تاريخ الشرق الأدنى القديم، أن حادثة خروج العبرانيين من مصر لم تقع بالأساس ، وذلك حسب ما و رد في دراساتهم منها كتابهم – التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها (زائيف هرتسوغ ،و(نيل سبيلرمن و زميله إسرائيل (فنكلشتاين 2005، ص12) في كتابهما الذي فجر غضب المتطرفين لدى جموع التوراتيين بمختلف فئاتهم ، وكذا لدى مؤرخيهم ، ومثقفيهم بما فيهم الطبقة السياسية.

ويؤكد " هرتسوغ " أنه لا يوجد لأساطير التوراة أي أثر تاريخي ملموس على الأرض في هذه البلاد ، ، و يذكر قائلا : "بعد 70 عاما من الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل توصل علماء الآثار الإسرائيليون إلى خلاصة مخيفة : لم يكن هناك أي ذكر لنا على طول التاريخ، أفعال أجدادنا المزعومة ليست أكثر من أساطير شعبية، لم نغادر مصر و لم نعود من هناك، لم نحتل هذه الأرض، ولا يوجد أي أثر، أو علامة لإمبراطورية دافيد أو شلومو."(زائيف هرتسوغ ،1999 ، 18، 11)، ويواصل : " الباحثين بيننا من يعرفون، هذه الحقيقة منذ زمن بعيد ، و لكن المجتمع الإسرائيلي يفضلون التغاضي، وعدم الاعتراف بهذه الحقيقة ، و في هذه الواقعة تعالى و قل

هذا لأبنائك ؟".(زائيف هرتسوغ ، 1999 ، 18/ 11). إضافة إلى زميلهما الباحث (شلومو ساند2014 ، ص ص 41،49،91، 100). هذا الباحث أعاد النظر في بشكل جذري في عدة مسلمات صهيونية صنمية كاذبة، حيث أخضعها لمحاكمة تاريخية صارم، حيث قوض أسطورة " أرض إسرائيل " الوطن التاريخي، وهو مصطلح ديني حولته إلى مصطلح جيو سياسي التاريخي، وبالتالي فكك تاريخ بني إسرائيل، والحركة الصهيونية، وأعاد تركيبه حسب الحقائق التاريخية التي توصل إليها.

كما أنه وانطلاقا من هذه الفرضيات فإنه يؤكد عدم ثبوت أسطورة الهيكل المزعوم، وبالتالي ليس لهم أي حق تاريخي في فلسطين بل هم عابرين لا أكثر.

ولقد عبر هذا المؤرخ والأثري هرتسوغ عن زيف ما يسمى الحق التاريخي الإسرائيلي مؤكدا أن التوراة التي يعتمدون عليها في الواقع لإيجاد شعب يهودي هي أساطير و تزوير للتاريخ لأن الحفريات تدحض خرافة الشعب اليهودي، وتؤكد أن لا تاريخ لليهود في فلسطين (زائيف هرتسوغ1999، ص18). إلا أننا نلاحظ أنه قد تكون من أهداف هذا الاعتراف من قبل هذا الباحث الإسرائيلي بأن الكيان قائم على أساطير من جهة، ونفيه لخروج بني إسرائيل من جهة أخرى هو دعامة لنكران ما جاء في القرآن الكريم حول القصة المعروفة عن سيدنا موسى عليه السلام، والفرعون واليهود تاريخيا.

وبالمقابل نجد الكثير من علماء الآثار المصريين أكدوا ذلك الرأي باستمرار من ذلك أن الباحث والأثري زاهي حواس شكك في قصة الخروج بأكملها في سلسلة مقالات نشرتها صحيفة " الغار ديان البريطانية ' (.5/ /2011/19; The guardien j)، ووافقه في ذلك عديد الباحثين المعروفين، حيث أنهم لم يعترفوا بالسرديات التاريخية التقليدية، ومن دعائمهم التاريخية في ذلك أن كلمة "إسرائيل " لم تذكر إطلاقا في أية وثيقة تعود إلى التاريخ المصري القديم، و أن الحالة الوحيدة التي

ذكرت فيها هذه الكلمة جاءت في أنشودة " النصر " التي دونت فيها انتصارات الفرعون " مرنتباح " على بعض الشعوب الأجنبية (أحمد عثمان المصري 1990 ، 1، ص 70)، إذ ورد في تلك الأنشودة كلمة " يسر يار " وهي الكلمة التي سارع إلى ترجمتها عالم الآثار البريطاني " فلندرز بتري " بترجمتها إلى إسرائيل (ف .بيتري 2021 ، ص 34)" 84 "، وتبعه في ذلك الكثير من الباحثين ، في حين أكدت دراسات أخرى حديثة أن " يسر يار " تشير إلى شعب من الشعوب التي عاشت في البحر المتوسط ، وليس لها أي علاقة باليهود العبرانيين (تشارلز وورث ، 2023، ص 18).

من هنا نلاحظ أن هناك غموضا في محيط الباحثين حول حادثة الخروج وواقعة التيه باعتبارهم أنه يستندون إلى الدراسات الأثرية ذات الأدلة العلمية المادية، خاصة وأنهم ينطلقون من موقف محدد مسبقا، وهو اعتبار كل ما جاءت به المصادر الدينية لا أساس له علميا بل هو محض أساطير لا أكثر.

إضافة إلى تلك التفصيلات التي ذكرنا بعضها حول اسم الفرعون المصري الذي وقع الخروج في عهده، بين من قال وقع في عهد رمسيس الثاني ، و من قال في عهد مرنتباح ، و من ذهب إلى القول أنه وقع في عهد الهكسوس(وحود اليد عبد الغني 1995 ، ص59)، إضافة إلى القضايا الخلافية الأخرى بين جموع الباحثين الأثريين والمؤرخين، حيث شكل الإطار الجغرافي والزماني جدلا كبيرا بين الباحثين، ومن ذلك أن أغلبية الباحثين المؤمنين بحادثة الخروج يؤكدون أن الخروج تم من مصر نحو فلسطين في حين رفض بعض الباحثين ذلك مؤكدين أن اليهود كانوا موجودين في منطقة تعرف باسم " مصريم" في شبه الجزيرة العربية ، و أن تلك المنطقة تختلف كليا عن دولة مصر الحالية. (كمال الصليبي، 1996، ص ص123-155).

أما عن الخروج فان الكتب المقدسة ذكرت هذه الحادثة، وهي خروج بني إسرائيل من مصر، وبالعودة إلى شروحات هذه النصوص من قبل المختصين فإننا نجد أن هناك اتفاقا في النقاط الأساسية للأحداث التي وقعت بين دخول بني إسرائيل وخروجهم منها .

وبالعودة للعهد القديم فإنه يذكر أن المدة التي قضاها بنو إسرئيل في مصر تتراوح بين 400عام (سفر التكوين). و 430 عام (سفر الخروج). في حين فإن القرآن الكريم لا يذكر أي تحديد لتلك الفترة الزمنية .إلا أن العهد القديم يتفق مع القرآن الكريم في أن دخول يعقوب و أبنائه إلى مصر قد وقع في فترة اشتداد المجاعة ، وأنهم مكثوا فيها عندما التقوا بيوسف عليه السلام، والذي كان آنذاك وزيرا أو موظفا ساميا في الدولة المصرية، كما يتفق المصدرين الدينيين على أن هناك تغير في واضح في تعامل السلطة الحاكمة آنذاك عندما اعتلى سدة الحكم حاكم جديد، كما يتفقان على العقاب و الكوارث التي أنزلها الله و – إله العبرانيين – على المصريين بسبب اضطهادهم للإسرائيليين – العبرانيين.

إلا أن المصدرين الدينيين يذكران دوافع مختلفة عن سبب الخروج، وهذا حسب عديد الدراسات التاريخية، وما نصت عليه مضامين المصدرين المذكورين، من ذلك نجد أن النص التوراتي يذكر، "إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم .. فالآن هلم إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر " (سفر الخروج، الإصحاح الثالث)، من هنا نقرأ أن حادثة الخروج جرت على أساس أمر إله بني إسرائيل .

أما إذا عدنا للمصدر الثاني، وهو القرآن الكريم فإننا نجد النص يذكر: **(فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا)** (سورة الإسراء، الآية 103)، والملاحظ أن هذه الكلمة مشتقة من الجذر " فزز " وردت في القرآن الكريم ثلاث

مرات في سورة الإسراء (الآية 64،76،103)، والملاحظ لدى أغلب المفسرين أن المقصود من كلمة " الاستفزاز " هو الإخراج. أي أراد فرعون أن يخرج بني إسرائيل من مصر منهم(ابن كثير ، 16 -68/ 3). و(القرطبي 10-10/338)، و(الرازي 22-21/56)"95"، (الجلالين، 14- 337)، و(الواحدي 12- 650/ 2)، و(النسفي 23-269 /1)، و (السعدي 18 – 468)، ابن عاشور ذكر أن الاستفزاز يعني الاستخفاف و هو كناية عن الإبعاد (إبن عاشور، 42 - 228 / 15).

وهناك من قال بالقتل منهم (ابن عطية 25-490 / 3)، و(الزمخشري26 – 271)، و(الشوكاني 11- 263/ 3)، ويرى البيضاوي أن الفرعون أراد أن يستخف بموسى وقومه، وأن يقوم بنفيهم من الأرض أي أرض مصر(البيضاوي - 20- 470آ / 3)، أما الألوسي ذكر المعاني الثلاثة مع ترجيح القتل. (الألوسي، 27- 396 ، / 5).

من هنا يذهب عدد من الباحثين إلى ربط النصوص القرآنية بالأحداث التي جرت بين فرعون مصر وحاكمها آنذاك و بني إسرائيل، وبالتالي إبقاء معنى الاستفزاز على معناه الحقيقي وهو " الاستخفاف " ، فهو الأصل ، يتوافق و النص القرآني و سياق الآية الكريمة ، و هو ما ينال إجماع أغلب المؤرخين ، ذلك أن فرعون أراد إبقاء بني إسرائيل لاستعبادهم و الاستمرار في إزعاجهم ، و تخويفهم لينقادوا لسلطته، وأن آخر ما كان يتمناه خروجهم من مصر، أو وفاتهم .

وهذا حسب المختصين في اللغة يتوافق مع معاجم اللغة العربية، وما قرره القرآن الكريم، وبحسب ما ورد في كتب الغريب والمعاجم ذات الصلة، وبحسب استقراء عادة الاصطلاح القرآني للاستفزاز، وعند الدراسات الحديثة فإنها تؤكد أنه لا مسوغ لوضع معنى اصطلاحي لكلمة استفزاز يخالف المعنى اللغوي، وهو الاستخفاف بهدف الإزعاج والتخويف .(عبد الرحيم ، 2011 ، ص 357-370).

5. جغرافية الخروج:

نسجل هنا أراء عديدة تحدثت حول طريق الخروج و المنحى الجغرافي المتبع في ذلك، وبالعودة إلى النصوص التوراتية فإننا نجد المعلومات، والإشارات الواردة فيها جعلت الباحثين يختلفون في الإدلاء بآرائهم، حيث أننا نلاحظ مثلا اتجاه يرى أن الخروج وقع في القرن السادس عشر قبل الميلاد، واتجاه ثاني يرى ذلك وقع في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أما الاتجاه الثالث فيذكر أن حادثة الخروج وقعت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

أما عن المسار الجغرافي للرحلة فلقد حاول علماء الآثار القيام بعملية استكشاف و بحث أثري واسع في منطقة البحر الأحمر و سيناء، لكنهم حسب التقارير المتاحة لم يتم تحديد المسار بدقة، وذلك بالرغم من أن سفر الخروج يحدد 50 مكانا كانت ممرا عبرها بنو إسرائيل نحو أرض الميعاد في فلسطين إلا أن الباحثين لم يتعرفوا بدقة على أكثر هذه الأسماء ، حيث ظلت مجهولة لديهم إلى الآن . (سفر الخروج 1:16/15:22/ 17: 1/ 19 : 2/) ، إجمالا فلقد مروا بثلاث صحاري حسب النصوص التوراتية "صحراء شور" ، و وصلوا "إيليم " ثم "صحراء سين"، وخيموا في "ريفيديم".

ويذهب الباحثون في تحقيقاتهم أن بني إسرائيل ارتحلوا بعدها إلى برية سيناء، ومكثوا بمقابلة الجبل، حيث صعد موسى عليه السلام لمقابلة الرب على قمة الجبل و تذكر النصوص السابقة أن جبل سيناء هو اسم الجبل الذي أوحي فيه الله لموسى عليه السلام ،و أن برية سيناء هي تسمية المكان الواقع بجبل سيناء، و هي بعيدة عن مصر ، وهي آخر صحراء في مسيرتهم نحو الأرض الموعودة الواقعة شرق نهر الأردن.(محمد فتحي عبد السميع رزق ، 2012 ، ص55).

وبالعودة للمختصين في التاريخ و اللغة و الديانة العبرية فإننا نجد قراءة أخرى جديدة حول مسار خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان، حيث تذكر أن النبي موسى عليه السلام قاد بنو إسرائيل في رحلة الخروج من مصر، حيث اتجه نحو جبل سيناء، و هنالك تسلم التوراة من الله ، في صورة لوحين حجريين منقوش عليهما هذه الشريعة، و في أثناء مكوثه في الجبل وقع بنو إسرائيل في الخطيئة و هي عبادة العجل الذهبي (ابن كثير، 2012، 15 / 11) . فكسر موسى عليه السلام لوح الشريعة حين رأى قومه يعبدون العجل. وبعد معاقبة الله لبني إسرائيل على صنيعهم صعد موسى ثانيا الجبل بغرض مناجاة ربه واستغفاره لقومه. رجع موسى بعد أربعين يوما، وقد تلقى من الله أمرا بعمل لوحين حجريين جديدين، وأن يصعد الجبل للمرة الثالثة ليكتب له الله التوراة على اللوحين الجديدين حسب ما يذكر نص توراتي : "إن الله كتب الشريعة على هذين اللوحين بأصبعه " (الخروج : 12:42، 18: 31).

وعندما رجع بعد أربعين يوما أخرى جمع إليه بني إسرائيل و ألقى عليهم الشريعة وقرأ عليهم الوصايا العشرة ، وأمرهم بعمل المسكن" خيمة متنقلة '.أما عن المسار الجغرافي المتبع فإنه المرجح لدى أغلب الباحثين ، و ذلك بالعودة لعدة مصادر، ودراسات متخصصة فإن رحلة التيه استمرت أربعين سنة ، حيث تنقل خلالها بنو إسرائيل من مكان ألى آخر، وأنهم مكثوا في كل مكان سنة واحدة (سيد القمني)، والأماكن التي ذكرتها التوراة هي :

"رعمسيس وهي محطة الانطلاق ، سوكوت ، إثام، فم الحيروت ، مجدول ، مارا ،إيلامة،ة بحر سوفلا،ةصراءر ،دوفكاى ،ةرفيديمة،ةصحراء سيناء ،ةقيور الشهوة ،تصروت ،ةرتما ،ريمون ،ةبرتص لا،ةلفانا ، ريسا ، قهلتا ، جبل دشفار ، ردا مقهلت ، تحث ، ترح ، متقا ، حشمونا ، موسروت ، بني يعقان ، حور ، هجد جاد ، يطفتا ،

عفرونا ، عصيون جابر ، - خليج العقبة –قادش ، تصلمونا ، فونون ، أقوتة،عاي ، ديبون ، جاد ،علمون ، تيما ، جبل هعفريم ، صحراء موآب"،(سامي الإمام، 2018، ص8)، هذه الأماكن تبدأ برعمسيس شرق مصر إلى صحراء موآب ،أي الضفة الشرقية من نهر الأردن مقابل أريحا الفلسطينية ، وفي هذه الصحراء توفي هاروت موسى عليهما السلام ، و تولى " يوشع بن نون" قيادة بني إسرائيل لدخول أرض كنعان ، و هذا المسار يرجحه أغلب الدارسين ، حيث ينطلق عبر صحراء سيناء الجنوبية إلى عصيون جابر على خليج العقبة ثم إلى "عرافوت موآب". (سامي الإمام 2018، ص 9).

والملاحظ أن هذه المسارات المفترضة لا تتنافى مع ما ورد في القرأن الكريم،ثم الآثار المصرية القديمة لم تسجل أي شيء عن تاريخ العبرانيين رغم أنهم مكثوا فيها أزيد من أربعمائة سنة ، و ذلك بالرغم أن المصريين كانوا حرصين على تسجيل الأحداث التاريخية، إلا أن هناك في نص للملك-ذكرنا جزءا منه سابقا - "مرنتباح " يذكر كلمة " يزرريل "، وبقية النص أنه لم يعد لإسرائيل و" لا بذور و لا نسل" مما يدل على أنهم تعرضوا لهزائم أو نوع من عملية الإفناء أو الإخلاء من المنطقة (سامي الإمام ، 2018 ص10)،" أو أن بني إسرائيل أبيدوا تماما (زاهي حواس، 2019 ، ص17).

أما عن بعض آثار الخروج فهناك عدة دراسات حيث استخدموا علم أسماء الجغرافية ومقارنتها بما حفظته الذاكرة الجماعية لهذه المناطق، وكذا تسمياتها الحالية مع ما ذكرته النصوص الدينية، حيث تذكر أن هناك الكثير من الأسماء التي تشير إلى مرور بني إسرائيل فيها بقيادة النبي موسى عليه السلام وتيههم في بريتها و من ذلك نذكر ما يلي :

- اسم سيناء: ورد في التوراة والقرآن الكريم

-عيون موسى: قرب السويس .

-حمام موسى : قرب الطور .

- بل موسى: في وسط جزيرة سيناء .

- جبل المناجاة: أحد قمم جبل موسى .

- عليقة موسى ، وبئر موسى، في دير طور سيناء .

- صخرة موسى و جبل مناجاة موسى عليه السلام : في وادي فيران .

- حمام فرعون : على البحر الأحمر عند مدخل وادي وسيط.

- عين قديس ، في شرق جزيرة سيناء .

- بلاد التيه: تقع في وسط جزيرة سيناء، ومن التقاليد المتداولة، والمتعارف عليها بين سكانها إلى اليوم أنهم يحفظونها باسم التيه .

- عين حدرة : تقع في شرق جزيرة سيناء على طريق ا البتراء .

- مدينة آيلة : و تقع شمال العقبة .

- وادي موسى ، و قبر النبي هارون : يقع شرقي وادي عربة .

6-أثر الخروج في الديانتين:

يلاحظ أنه رغم اختلاف الأديان السماوية الثلاثة (وإن كان هناك اختلاف في الديانة اليهودية أو النصرانية لأن الديانتين قد أصابهما التحريف والتبديل فالحق إذن مع الدين الإسلامي وهذا لقوله تعالى: **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (سورة فصلت، الآية: 42) فإنها تتفق على إحياء ذكرى

الخروج، وقدسيها، وأعطوها تسميات مختلفة، من ذلك اليهود يحتفلون بتلك الذكرى، حيث يعرف لديهم ذلك الاحتفال بـ: " عيد الفصح " ،أو " عيد الفطر "، مؤمنين أنه يوافق تاريخ خروج أجدادهم من مصر، حيث كانوا على عجل ولم يتمكنوا من أكل خبزهم، وبالتالي يحتفلون بأكل خبز غير كامل النضوج أي فطير مختمر ، (جورج نظير جرجس ، 2017 ، ص45)، وفترته تكون في بداية الربيع ويستمر سبعة أيتام .

و النصارى لا يحتفلون بشكل واضح بتلك المناسبة إنما يكون ضمنيا مع حلول عيد الفصح اليهودي، حيث يعتبر النصارى أن عيد القيامة هو عيد احتفالهم بعودة المسيح، والذي يكون بعد عيد الفصح بوقت قصير، (نور الدين خليل، ص 193)، وكذلك باعتباره دلالة على نجاة بني إسرائيل من اضطهاد فرعون مصر .

أما المسلمون فلقد ألفوا على تذكر تلك المناسبة بصيام اليوم العاشر من محرم يعرف بـ" يوم عاشوراء " حيث أورد الطبري تقرير إحياء يوم عاشور بالصوم بالنسبة للمسلمين من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن نجا موسى عليه السلام من فرعون شكرا لله قائلا : " نحن أولى بموسى منكم " (صحيح مسلم 2010،عن عبد الله بن عباس ، ص أو الرقم1134) "122"، و يقصد هنا اليهود .

7-خاتمة:

وبالتالي نخلص إلى أن الديانات الثلاثة اتفقت على إحياء يوم عاشور لكنها اختلفت في تفاصيل هذا اليوم، وتبقى الدراسات التاريخية والأثرية غير قادرة على تقديم أدلة مادية على ما ورد في الكثير من نصوص الديانات المقدسة.

كذلك لازال الأثريون لم يجدوا الكثير مما ذكرته النصوص الدينية، حيث لم يتم الاتفاق بين الباحثين حول تاريخ الخروج، وكذا التيه، وكذلك المعجزات التي وقعت

أثناءه، تبين لنا وأن هناك رأي إسرائيلي أكاديمي موضوعي إلى حد ما بدأ يتحدى أراء المؤرخين ورجال الدين القدماء والتقليديين، وخاصة المتطرفين منهم، رغم ذلك يجب أخذ آراءهم بحذر شديد كما بينا في المضمون أعلاه، كذلك لا زالت جغرافية الخروج من مصر إلى أرض كنعان – فلسطين – غامضا ، وآراء المؤرخين متداخلة ، وبعضها مضطرب، وبعضها لا يقوم إلا أسس دينية توراتية ،سيطرت المدرسة اللاهوتية التوراتية مسيطرة على توجهات المؤرخين و كتابها، كذلك نلاحظ أن مناك توجه لعدد من المؤرخين العرب إلى قبول آراء وتوجهات التوراتيين، أثبتت الدراسات الأثرية زيف ادعاء أن فلسطين أرض بني إسرائيل، وبالتالي فحادثة الخروج تشترك في ذكرها الكتب السماوية، وكذا في المعجزات التي حدثت فيها، لكن تختلف هذه الكتب في تفاصيلها، كما اختلفت في وجود بني إسرائيل في مصر، وفي سنة دخولهم و خروجهم، والأماكن التي مكثوا فيها.

ونلاحظ أن المصادر المصرية لم تذكر تاريخ بنو إسرائيل، ما عدا اسم واحد ورد في لوح إخناتون إلا أن الباحثين اختلفوا في تفسيره، وعليه فلا يزال تاريخ بنو إسرائيل يشوب أحداثه الكثير من التناقضات والغموض في المحيط العلمي الأكاديمي المحلي و الدولي.

8. المصادر و المراجع:

1-القرآن الكريم

2- التوراة

3-معجم المعاني، الأصبهاني، دار الكتاب العالمية، بيروت، ط 2008 ن

4- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ط 3، 2014

5-ابن منظور لسان العرب، مج1، دار صادر بيروت، ط 3 1414 هـ.

6-ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، دار الثقافة 2015

7-محمد منير الجنباز ، قصة موسى عليه السلام ، 2021

8-الطبري، تاريخ الطبري ،ج 1 ، ط، 2009 .

9-أنداسيوس مزقول إسماعيل ، 2014 شعب اللهى المختار و دعوى نقاء العرق الإسرائيلي ،مجلة البحث العلميو الآداب ، مج 10 ، ع 14، السودان 2014.

10-إبن الأثير،الكامل في التاريخ ، ج 1 ،دار الكتاب ، 1971

11- دحيل عبد الله، دخول بني إسرئيل فلسطين، 2017

12-ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى، دمشق ، 1996.

13-أمين إسكندر، النصوص التوراتية تغذي الصهيونية بمبررات العنف و القسوة و الوحشية ، مجلة البيان ، 2002

14-باهر عبد العظيم حماد ، قسم الفلسفة جامعة حلوان مصر ، الدور السياسي للأصولية اليهودية في إقامة دولة إسرائيل ، جامعة حلوان ، مصر 2022

15-إسرائيل و لفنسون،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية، و في صدر الإسلام، 1987.

16-طالب منعم الشمري و فيحاء كاظم جالي الطرفي ، التراتبية لمرحلة التهجير من مصر الفرعونية في ضوء روايات المؤرخ يوسيفوس، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية ، العدد 41 ،2018.

17-فيصل بن علي الكاملي ، خروج بني إسرائيل من مصر بين تحريف التوراة و كلة البقرآن ، مجلة البيان ، 4/16 / 2024

18-سعود بن عبد العزيز، دراسات في تاريخ الأديان اليهودية و النصرانية ، مكتبة أضواء السلف الرياض ، 1997.

19-عبد الرحمان ريحان ، "في حكاية التجلي الأعظم " هل سمح ملكمصر بخروج بني إسرائيل ..و أين غرق فرعون؟ ، مجلة الأخبار : عدد أوت 2022

20-إبراهيم محمد مهران ، دراسة تحليلية لعصر النبي يوسف عليه السلام في مصر ، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي ،ع 11 ،

21-محمد سيد عبد الغني ، الهكسوس و اليهود عند مانيتون السموندي دراسة تحليلي ، نقدية لرواية يوسيفوس ،محلة المؤرخ المصري ، ع 56 ، 2020.

22-رشيد البدراوي، موسى و هارون عليهما السلام،من هو فرعون موسى ،ج4 ، 1998.

23-سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، ج4 . مكتبة الأسرة 2001

24-محمد أبو رحمة ، الإسلام و الدين المصري القديم ، 2013

25-أحمد عثمان المصري ،موسى و إخناتون تاريخ مصر السري في ومن الخروج ، 2002

26-سجموند فوريد ، موسى و التوحيد ، تر:جورج طرابشي، بيروت 1982

27-علي جمعة،رمسيس الثاني فرعون موسى ، 2020

28-عادل حسين الرحامنة ، خروج بني إسرائيل من مصر و المجتمعات المعاصرة له في الشرق الأدنى القديم ، مج 1 ، 1998

29-محمد رجب سيد ، لوحة انتصارات مرنبتاح – محاضرات في اللغة المصرية القديمة ، ، جامعة المنيا ، مصر ، 2021

30-أولبرايت وليام ف ، آثار فلسطين ، تر : زكي إسكندر ، حميد عبد القادر محمد ، القاهرة 1971.

31- طومسون ل،التاريخ القديم الإسرائيلي ، تر: صالح علي صوادح بروت 199

32-إسماعيل الصماد ، دخول إسرائيل مصر ،2005

33-القس منيس عبد النور و آخرون موسى كليم الله ط 1 ، 1989

34- المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر،ج 1 ، بيروت 2005

35-فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة و الحقيقة، دار حصين ، 1993.

36-محمد يسري أبو هدور ، خروج بني إسرائيل من مصر قراءة في النصوص المقدسة و وثائق التاريخ ، 2018.

37-نيل سبيلرمن و إسرائيل فنكلشتاين ، التوراة مكشوفة على حقيقتها ، تر: سعد رستم 2005.

38- زائيف هرتسوغ ، أساطير التوراة ، تر : نور حسين ، 1999

39-شلومو ساند،كيف لم أعد إسرائيليا ، تر: أمطوان شلحت، الأردن 2014

40-زاهي حواس ، لغز فرعون موسى ،دراسات في الشرق الأوسط،ع10/5/ 2017

41-فلندرز بيتري ، الحياة الإجتماعية في مصر القديمة ، تر: محمد حسين جوهر 2021

42-تشارلز وورث ، تاريخ الشعب العبراني تر : ب ر ، 2023

43-وحيد سيد عبد الغني 1995

44-كمال الصليبي، التوراة جاءت من الجزيرة العربية ن تر: رٍ عفيف 1996

45- القرطبي ، الإمام القرطبري ، الجامعى لأحكام القرآن الكريم / 1/3/ 2023

46- الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ، ج 1 ، ط1 ، المطبعة البهية المصرية 1938

47- جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ، مكتبة الإيمان القاهرة ، د ت

48- حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي ، ج 1 ،دار الكلم الطيب ،ط 2009

49- عبد الرححمان السعدي ، تفسير السعدي ، ط 2007

50- محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير القرآن الكريم : د ط 2007

51- ابن عطية الأندلسي ، تفسير بن عطية ، ط 2019

52- محمود بن عمر الزمخشري ، تفسير الكشاف ، ، ط 2011

53- محمد الشوكاني ، تفسير الشوكاني ، ط 2009

54-عبد الله بن عمر البيضاوي ، تفسير البيضاوي ،ط 2012

55- محمود شكري الألوسي ،تفسير الألوسي ، ط 2008

56- عبد الرحمان فرج ، نقد التوراة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ع 111،و عبد الحيم دراسة لما ورد في كتب التفسير حول معنى " يستفزهم "من سورة الأسراء، مجلة الجامعة الإسلامية ، غزة مج 1 ، ع 1 ، 2011.

57-محمد فتحي عبد السميع رزق ، تاريخ جغرافية بني إسرئيل في القرآن الكريم ، 2012

58-عادا حسيتن الرحامنة ،خروج بنو إسرائيل منمصر : مصر 1998

59-سيد القمني ،النبي موسى و لآخر أيام تل العمارنة، ج 1،ف1،. 2017

60-سامي الإمام،مسار خروج بني إسرائيل من حمصر إلى كنعان –فلسطين - ، 2018

61-زاهي حواس ، حوار صحيفة القارديان البريطانبية ، 19/ 5 / 2017

62-جورج نظير بطرس ،المعجم الكبير للمصطلحات اللاهوتية و الكنسية ، 2017

63-نور الدين خليل،قاموس الأديان الكبرى الثلاثة اليهودية المسيحية و الإسلام، مصر 2018

64- أبو الحسين مسلم ، صحيح مسلم ،ج 1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1991

التنظيمات السياسية والعسكرية لمملكة نوميديا

خلال حكم يوبا الأول (60-40) ق م

Organisations politiques et militaires

du Royaume de Numidie

أ/ عبد الجليل والي

[1] جامعة سطيف 02 (الجزائر)، Abdeldjalillouali14@gmail.com

تاريخ الاستلام: .02./..2022/04 تاريخ القبول: ..06../..2022/04 تاريخ النشر: 30../../.2022/04

ملخص:

نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم التنظيمات السياسية التي قام بها الملك يوبا الأول والمتمثلة في استعادة ممتلكات أجدادها النوميد من خلال حملاته التوسعية، وإخضاعه للقبائل المتمردة تحاه سلطته، كما عمل هذا الملك على تطوير اقتصاد مملكته حيث قام بسك العملة، وشجع على ممارسة الزراعة

والصناعة، باستخدام وسائل حديثة، أما الجانب العسكري فقد أحدث فيه تغييرات، وأدخل عليه إستراتيجيات حديثة من حيث العدة والعتاد، وبذلك شكل جيشا قويا لحماية مملكته من خطر الأعداء.

كلمات مفتاحية: يوبا الأول؛ مملكة نوميديا؛ التنظيم السياسي؛ التنظيم العسكري؛ التنظيم الاقتصادي.

Résumé:

Dans cette etude ,nous essayonsde faire la lumiere sur les oorganisations . politiques les plus importante entreprises par le roi juba 1er,represente dans la Restauration des proprietes de ses enceintres de numid a travers ses . compagnes expansionnistes et l,assujetissement des tribus rebelles sous son autorite.en utilisant des moyens modernes quant au cote militaire, il a fait des changements et introduit des strategies modernes en termes d,equipement etd,equipement formant ainsi une armee forte pour proteger son royaume du danger des ennemis .

les mots clés: Juba 1er ,Royaume de Numidie ; Organisation politique ;Organisationmilitaire ; Organiszation economique .

***المؤلف المرسل:** أ/ عبد الجليل والي

1. مقدمة

هناك الكثير من المؤرخين و الباحثين يرون أن المعلومات حول حكام المملكة النوميدية من ناحية تنظيمها السياسي والعسكري خلال القرن الأول قبل الميلاد

بعتريها الكثير من الغموض والنقص في مضامين المادة التاريخية التي أوردها المؤرخون الإغريق والرومان، وبصفة خاصة حول شخصية الملك يوبا الأول، حيث شهدت منطقة بلاد المغرب خلال القرن الأول قبل الميلاد أحداثا سياسية هامة تميزت بالتدخل الروماني في شؤون المملكة النوميدية، وظهور صراعات سياسية بين الطامعين في حكم روما لبسط نفوذهم على الحوض الغربي للمتوسط، حيث تمكن الرومان من القضاء على ثورة يوغرطة ، نصبت حكام خاضعين لها، إلى أن ظهر للوجود يوغرطة جديد هو الملك يوبا الأول الذي أراد التخلص من هيمنة الرومان، وذلك بإعادة مجد نوميديا و سيادتها .

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية:

ما هي إنجازات الملك يوبا الأول التي شملت الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية لإعادة مجد المملكة النوميدية.

2. التنظيم السياسي:

توفي الملك هيمصال سنة 60 ق م بعد28 سنة من الحكم، و قد إختلف المؤرخون في سنة وفاته ما بين (60-50 ق م) تاركا لإبنه يوبا الأول العرش النوميدي (بولخراص حمدوش ،2014، ص73،) ، و قد أظهر بأنه إستمر على حكم ملك أبيه بدون منازع (سعود محمد التازي ، 2008 ،ص 59) والمتفق عليه من طرف العديد من بالباحثين هو 60 ق م. (Tahar Mohamed , 2000 , p55)؛ لكن هناك تضارب في الآراء حول هذا التاريخ بحيث هناك نصوص تظهر بدقة التأريخ بالدلالة حول التسلسل الزمني لفترة حكم هدا الملك فهناك من ربطه بسنة58 ق م، وآخرون بسنة 56 ق م، وكذلك من ذكر سنة 50 ق م، والجدير بالذكر هو أن

اعتلاء الملك يوبا العرش يرجح 60 ق م، وقد كانت فترة حكمه قصيرة نسبيا، ما بين (60 ق م و50 ق م) لكنها كانت صاخبة لأنه قضاها في قتال الجيوش الرومانية.

3. التنظيم السياسي والاقتصادي في نوميديا خلال حكم يوبا الأول:

1.3 التنظيم السياسي:

ساد في نوميديا النظام الملكي الوراثي، وكانت الملكية ملك العائلة التي تنتمي بالذكور إلى جد مشترك واحد، وكان الملك هو الأكبر سنا في العائلة، وبوفاته كان الحكم ينتقل للأكبر سنا هكذا هي القاعدة التي طبقت بعد وفاة غايا سنة207 ق م (أكصيل ستيفان،2007 ،ص 110) مما تجدر الإشارة إليه أن يوبا الأول هو الولد البكر لهيمصال الثاني، تولى الحكم بعد وفاته . (حارش محمد الهادي،2013، ص214).

1.1.3 طبيعة حكم يوبا الأول:

لا تشير الكتابات الرومانية إلى الظروف التي تولى يوبا الأول حكم نوميديا، (غانم محمد الصغير، ،2006، ص95) كما تذكر الدراسات التاريخية على أنه آخر حاكم نوميدي مستقل وقادر إلى حد نسبي(Coltelloni T,2003 ,p5)، إذ كانت سياسة يوبا الأول متأثرا برغبته الكبيرة في تحقيق الاستقلالية، وكذا البقاء مخلصا لتقاليد أسلافه وأجداده، وبهذا وجد صدى كبيرا بين رعاياه الذين كانوا مرتبطين به بشدة، و تقديم الولاء له (Tahar Mohamed 2000 , 114) .

ولقد جاء يوبا الأول للحكم بعد أن خاض تحارب دبلوماسية و سياسية استطاع من خلالها أن يمسك بكل جدارة بمقاليد الحكم رغم حداثة سنه (فرحاتي فتيحة ، 2007، ص 174)، ورغم فترة حكمه القصيرة نسبيا غير أنها كانت مهولة؛ لأنه

قضاها في محاربة الجيوش الرومانية، إذ تحدثت المصادر الأدبية عن هذا الرجل مؤكدة على حيوية روح الاستقلال التي كان يتمتع بها ملك النوميديين؛ إذ سيقف في وجهها إلى يوم وفاته، وفور إعتلائه العرش كان على يوبا الأول أن يحمل السلاح من أجل إقامة النظام، وإعادة ترتيب شؤون المملكة التي شهدت حركات تمردية، ولعل أبرزها القبائل الجيتولية (فروخي محفوظ ، 211 ص 59).

و من المؤكد وجود مساعدين لهذا الملك حيث يكونون محل ثقة، ويقومون بعدة وظائف لتسيير شؤون المملكة، وصفوة القول أنه كان للملك وزراء حقيقيين يعملون تحت إمرته، إضافة إلى القادة العسكريين (أكسيل ستيفان، 2007، ص ص124-125).

وخلاصة القول، ومما دلت على سياسة يوبا الأول المتعصبة والتوسعية أننا نجده بعد المدة التي قضاها في الحكم لم يحصل على لقب صديق وحليف للشعب الروماني من مجلس الشيوخ بسبب معاداته ونقمته على الرومان. (محمد الهادي حارش، 2013، ص 35).

2.1.3 استعادة ممتلكات نوميديا:

ذكر المؤرخ الروماني لوكان (Lucain) أن الشعوب التي أخضعها يوبا و التوسعات التي قام بها قائلا: (كل الشعوب التي أخضعها هذا الملك تحت رايته لم يكن للملك مملكة أكثر اتساعا. شملت الشعوب التابعة ليوبا و هم سكان جبل الأطلس النوميد المتجولين و الجيتول و القرامنت (Lucain M A , 1993 Liv IV, p 225).

منذ تولي يوبا الأول الحكم فرض سيطرته على المملكة من خلال القيام بالعديد من الحملات العسكرية التي ترفض سلطته وإخضاعها بالقوة (محفوظ

قداش ، 1993 ،ص108)، حيث استولى على ثيناي المدينة الواقعة عند المدخل الشمالي للسيرت الصغير، وتُعرف باسم لمطة والقريبة جدا من حدود الولاية الرومانية (أكسيل إصطيفان، 2007، ص 256)، وبما أن يوبا الأول كان يحمل ضغينة لقيصر للرومان خاصة فلم يترك الفرص مستغلا الأوضاع في دعم العناصر المنشقة بروما ، ونجح مع بداية الانقسامات الداخلية بروما من احتلال مدينة لبدة الحليفة لروما (فرحاتي فتيحة، 2007، ص 177)،

الأمر الذي أدى بمجلس الشيوخ الروماني إلى سحب لقب الملك الحليف للشعب الروماني(بولخراص حمادوش، 2013، ص 73)، وهذا اللقب سلم لأبيه وأجداده من قبل، واعتباره عدو للشعب الروماني، كما قاد حملات واسعة ضد بعض القبائل الجيتولية الثائرة في الجنوب ، و بالتالي فقد توسع عل حساب الجيتول، الأمر الذي جعله في عداء ضدها(أكسيل ستيفان ، 2007، ج7 ، ص 259)، وما يُفهم من المصادر التاريخية فإن يوبا الأول حاول استرداد مقاطعة إفريقيا الرومانية القريبة منه جغرافيا و ضمها لممتلكاته و طرد الرومان منها (محمد الهادي حارش ، 2013، ص 34).

3. 1. 3 جغر افية مملكة يوبا الأول:

كانت حدود مملكته الجغرافية تخضع باستمرار للتقلبات، وذلك بسبب الأوضاع السياسية و العسكرية التي حدثت أثناء فترة حكمه (Himeur Ensighaoui, 2OO9, p19)، حيث أصبحت مملكته تمتد من منطقة لبدة الكبرى الواقعة بين السرتين الكبير والصغير من ناحية الحنوب الشرقي، وتحد مملكته الولاية الرومانية غربي بيزاكميو م(ناحية هيدروميت وهي سوسة اليوم) (أكسيل اصطيفان، ج 7، 2007، ص 259)، أما الشمال الشرقي فيفصل بين مملكته وإفريقيا الرومانية الخندق الملكي، وبالنسبة لحدود مملكته الغربية فيفصلها عن مملكة موريطانيا

وادي الصومام إذ تم تحديد الحدود الجنوبية الشرقية والغربية للمملكة على وجه اليقين فإنها تختلف معالم الحدود الجنوبية لموطن الجيتول، وذلك لعدم وجود معالم طبيعية مثل ما وُجد في الشرق الخندق الملكي، والغرب وادي الصومام، تضمنت مملكة يوبا الأول منطقتين متميزتين جدا من إقليم الجيتول في الجنوب الغربي في المنطقة الممتدة من سطيف إلى بسكرة، وفي الشرق أراضي تقع على ساحل السرت ، ليست ببعيدة عن لبدة Coltelloni, t, 2003 , pp 3916-3917)، ,إحدى عواصمه هي مدينة زاما التي يجهل موقعها بالتدقيق(أكسل صطيفان، 2007 ، ج7، ص 256)، وأشار سترابون أن نوميديا سيطر عليها يوبا الثاني، وكانت زاما مقر قصره الملكي (سترابون ، 2003 ، الفصل الثالث ، الفقرة 9)

3. 1. 4 العلاقات الخارجية:

أشار المؤرخون إلى أن الملك النوميدي يوبا الأول كان في علاقة عدائية مع الرومان القيصريين، و صديق للبومبيين (أكسيل صطيفان، 2007 ، ج 7، ص 256)، كما كان شديدا على القوات الرومانية التي كانت تسعى دوما للسيطرة على كافة الشمال الإفريقي، وإذلال النوميديين وإخضاعهم لسلطتها، ورومنتهم بهدف استغلال أراضيهم ونهب ثرواتهم، والاستقرار بها كما فعلوا لما أسقطوا قرطاجة سنة146ق م إذ ألحقوها بممتلكات الشعب الروماني ، و أطلقوا عليها تسمية الولاية الرومانية (دردار فتحي ، 2014،ص 78)، وقد كانت تربطه علاقة حسنة مع ملك نوميديا الغربية ماساناس ماسينيسا الثاني، وبالتالي فهو صديق ليوبا الأول (محمد الهادي حارش، 2013، ص78)، وكان في خصام دائم على الحدود مع ملكي موريطانيا بوخوس و بوغود. (محمد الهادي حارش، 2013، ص 34).

شكلت قبائل الجيتول العدو اللدود ليوبا الأول إذ كان عليها أن يُقاتلهم بعد أن كانوا أعداء له لبعض الوقت، والملاحظ حول الجيتول هو تواجدهم في أماكن غير مستقرة بجنوب نوميديا، ولمواجهة هؤلاء الأعداء كان لابد على يوبا الأول لشد كل مواردها ذات الصلة بخططه العسكرية لتأديبها كما يلزم، بل ولمنعها من القيام بتمردات، وتحالفات ضده كما فعلت مع يوغرطة. (Djenzs M, 2010, p 193)

2.3 التنظيم الاقتصادي:

1.2.3 الوضع الاقتصادي أثناء حكم يوبا الأول:

بالرغم من الأوضاع السياسية التي تزامنت مع فترة حكمه إلا أنها لم تعرقل نشاطات الملك الاقتصادية لاسيما الزراعية منها، وذلك لضمان استقلالية المملكة (آيت ويزة عمارة و آخرون ،2018 ، ص124) حيث عرفت مملكة نوميديا في عهده رخاء اقتصاديا كبيرا، ومما ساعدها على ذلك موقعها الإستراتيجي بفضل طول سواحلها ، وتوفرها على عدة موانئ أهمها ميناء هيبون بعنابة حاليا، إذ كان مرفأ تجاري، كما كانت نوميديا تتوفر على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة. (دردار فتحي، 2014، ص 79)، وأشار حارش بأن يوبا الأول كانت هناك أراضي تابعة له شخصيا. (محمد الهادي حارش، 2013، ص 106).

وتعتبر نوميديا الشرقية أو ما يعرف بإقليم المزاق من أهم المناطق في المغرب القديم، وذلك راجع إلى خصوبة أراضيها وتنوع منتجاتها، وهذا ما وصفه بليني في قوله (وهكذا بيزاكيوم يسمى الإقليمي الذي يبلغ محيطه 250 ميلا، وهو خصب جدا، حيث تعطي الأرض الفلاحين 100ضعف من الثمار. (بليني الأكبر، 2019، الفقرة 24).

اتخذ الملك يوبا الأول إستراتيجية ومنهجا في الدفاع عن مصالح مملكته بالارتكاز على تطوير الإنتاج الزراعي، فأقام سياسة ذات أهداف متباينة، فمن جهة اهتم بالانتعاش الاقتصادي، و الصناعي والزراعي كإنشاء الأسواق وطرق النقل البضائع، و من جهة أخرى أخذ يحضر قوة عسكرية على أسس عصرية للدفاع عن مملكته و ضمان الاستقرار لسكانها (آيت عمارة ويزة و آخرون ، 2018 ، ص 125).

اهتم يوبا الأول بالزراعة على اختلاف أنواعها ، حيث حافض على نفس الوتيرة التي كان أجداده يتعاملون بها ، و كان من أهم محاصيله الزراعية القمح و الشعير الذي عرفت به المملكة النوميدية، وأشارت الكتابات التاريخية القديمة أن هذا الملك لم يهمل قط إقتصاد مملكته فضلت هذه الأخيرة مزدهرة ، و لقد كان المزارعون يخزنون محاصيلهم داخا مطامير في الحقول و الأرياف بعيدا عن أنظار العدو(آيت عمارة ويزة وآخرون ، 2018 ، 127)، يختار لها أماكن مرتفعة بالقرب من التجمع السكاني الذي كان يتخذ نفس النمط أي قمم الجبال والتلال المرتفعة، وغالب أن يكون المحصول يقسم على النحو التالي :

- قسم يخصص للذين عملوا على بذر وجني المحصول.

- قسم تحفظ فيه بذور السنة الموالية.

-قسم يخصص لمواجهة سنوات الجفاف لأن الفلاح النوميدي لا يثق في الطبيعة والمناخ المنقلب. (غانم محمد الصغير، 2010، ص 156)، إضافة إلى غرس أشجار الزيتون والزراعات المتوسطية بصفة عامة. (دردار فتحي، 2014، ص 79). والملاحظ أن الملك لم يهمل الجانب الصناعي، وبالدرجة الاولى صناعة و تطوير وسائل الزراعة، وكذلك بناء السفن التجارية التي تعتبر من الصناعات الثقيلة، (دردار فتحي، 2014، ص 79)، وتدلنا المصادر الأثرية على نماذج من الأدوات

الزراعية المحفوظة في المتاحف الوطنية، حيث عثر على منجل في المنطقة الزراعية بالقرب من وهران يرجح أنه يعود للفترة المتأخرة لنوميديا. (آيت عمارة ويزة وآخرون ،2018، ص127). كما اهتم الملك بتربية المواشي والخيول، و هذا بالإضافة إلى الفيلة التي كانت تستخدم في نقل البضائع والسلع إلى أماكن الأسواق (آيت عمارة ويزة وآخرون ،2018، ص127)، وقد اشتهرت نوميديا في عهده بالصيد البحري (دردار فتحي، 2014، ص 79) .

نستنتج في الأخير أن الملك يوبا الأول وفر إمكانيات كبيرة للدفاع عن المملكة النوميدية وتحصين إقليمها الجغرافي، ونظرا لازدهار مملكته فرض الضرائب على السكان بهدف تمويل الجيش لحماية مملكته من الأطماع الخارجية. (آيت عمارة ويزة وآخرون ،2018، ص127).

3. 2. 2 سك العملة:

يرى بعض الباحثين أن العملة النوميدية في عهد ماسينيسا و ميكيبسا قد استمر سكها، واستعمالها في عهد الملوك يوبا الأول و يوبا الثاني، و حتى في عهد بطليموس (Mazard J ,1955, p124)، وعلى وجه الخصوص نجد أن يوبا الأول اعتمد نظام نقدي حديث اعتبر منعرجا كبيرا في التاريخ النقدي للمملكة النوميدية بما يحمله من عناصر جديدة خلال الإصلاحات التي حاول إدخالها عليه، بحيث تميز بتبني نظام المعدنين وفق خصوصية معينة ممثلة في ضرب النقود البيون و يضم هذا النظام مجموعتين كبيرتين حسب المعدن الذي ضربت منه النقود (عمروني توفيق ، 2015 ، ص 143).

سكت هذه العملات لتأكيد هويته وسلطته سواء في مواجهة قوى الاحتجاج الداخلية لمملكته أو اتجاه حلفاء الرومان الأقوياء، هنالك مجموعتين من العملات

لهذا الملك، الأولى برونزية بدائية ولها نظام وزن غير محدد، والأخرى فضية تتبع نظام الوزن الروماني ديناريوس. (Coltelloni T M,), 2003 , p 3919).

ويذكر الباحث موليرMuller, 1862, pp24-43)بأن هذا الملك سك عملته من الفضة، و قد أبرزها الباحث مازارد و قام بتصنيفها إلى عملات برونزية ، و أخرى فضية ، و هذا اعتمادا على ما هو مجسد على ظهر و وجه العملة ، ولقد جسد على العملة الفضية اسم الملك و صورته ، أما البرونزية فتحمل كتابة باللغة البونيقية، (إسطيفان أكسيل ج 5 ، 2007 ، ص ص 139 - 140)، والتي أتقنها الملوك النوميد، وهي لغة فضلوا استخدامها على عملاتهم ووثائقهم الرسمية . (Tahar M 2000 , p 113)

هذا لا ينفي وجود الكتابة اللاتينية على بعض عملات الملك يوبا الأول فقد سكت النقود بكتابة مزدوجة بونية لاتينية (شنيتي محمد البشير، 2013، ص157) بورشات ضربها، وعرفت أثناء فترة حكم يوبا ورشتين لضرب النقود هما ورشة أوتيكا وورشة سيرتا (عمروني توفيق، 2015، ص 144).

وتذكر الباحثة كولتلوني أن هذه الورشات كان يعمل بها مهندسين وفنانين في الضرب الدقيق للعملات، وكانوا من الرومان الذين استلهموا عملات يوبا الأول بإصدارات جديدة، وقد وجدت عملاته في غاليا و إسبانيا تعود إلى دود منتصف القرن الأ ول قبل الميلاد (Coltelloni T M, 2003, p 3919)، وأشار أصطفان أكسيل إلى إمكانية وجود عملة ذهبية للملك يوبا الأول إضافة غلى عملات سبق ذكرها برونزية و فضية(إصطيفان أكسيل ، 2007، ج 5، ص 140)،

4. التنظيم العسكري في نوميديا خلال حكم يوبا الأول:

1.4 تنظيم الجيش:

لا شك أن تنظيم الجيش يعتمد على سلطات قيادية من الأعلى إلى الأدنى، بمعنى أن هذه الجيوش النوميدية مهيكلة على شكل هرمي، حيث تطبق الأوامر والتعليمات من الأعلى – السلطة الفوقية- إلى الأسفل لضمان حسن سير و الكسب في المعارك.(Ait Amara ,2007 K p 230).

4. 1. 1 الرتبة العسكري:

- **الملك:** إلى جانب المهمة السياسية والإدارية التي يتولاها فإن يوبا الأول هو صاحب السلطة المطلقة في المملكة، إذ يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة وقد وصف في كتاب يوغرطة (حرب يوغرطة) بأنه يظهر في الميدان بمعطف أرجواني يميزه، ويعطيه رتبة رسمية. (قيصر يوليوس، ترجمة محمد الهادي حارش، 2014 الفقرة السابعة).

- **الضابط السامي:** يقصد به الذي ينوب الملك أحيانا في قيادة الجيش النوميدي (عيساوي مها ، 2009 ، ص 122)، بحيث في فترة يوبا الأول أسند القيادة العامة لجيشه لضباط السام سابورا (غانم محمد الصغير، 2007، ص 268)، وحسب نقيشة معبد دوقة يطلق على صاحب هذه الرتبة (الضابط السام) رب مشطر . (غانم محمد الصغير ، 2012 ، ص 332).

- **قائد المئة:** يتولى قيادة فرقة تتشكل من 100 جندي ويطلق عليه اسم ربت مت .

- **قائد الخمسين:** يتول قيادة فرقة تتشكل من 50 جندي ويسمى أدحمش .(مها عيساوي ،2010 ص29).

- **الجندي البسيط:** يعني الجندي الذي لا يتولى أية مسؤولية في الجيش النوميدي مهمته القتال ورد اسمه بصيغة مسوح - MSWWH (AIT Amra , 2010 , p 235)

إضافة إلى ورود الحرس الملكي الذي تكمن مهمته في حماية الملك شخصيا من أي اعتداء، وقد كان ليوبا الأول حرسا خاصا يتشكل من 2000 فارس إسباني وغالي وفرقة من المشاة. (Cesar J , S D , Liv ii, xl ,i)

4. 1. 2 تركيبة الجيش:

كان جيش يوبا الأول يتكون من أربعة فيالق نظامية إضافة إلى الفرق المساعدة من الفرسان النوميد الذين يركبون الخيل دون سروج و عدد معتبر من فرق المشاة (غانم محمد الصغير وآخرون ، 2012 ، ص 333)، وكان يقود جيشه بنفسه، وهو تقليد عرف به ملوك الماسيل، ويمكن أن نعتبر المنشأة العسكرية لهذا الملك مؤشرا نحو تحول المملكة إلى قوة عسكرية ذات جيش نظامي محترف يمكن أن تبرز فيه كفاءات و قيادات عسكرية ترقى بالمؤسسة العسكرية من مجرد قوة عسكرية صغيرة تعتمد على التجنيد العشوائي في الظروف الحرجة دون تدريب أو احترافية، وهذا دليل على طموح الملك الذي يتجاوز مجرد الوظيفة التقليدية للجيش ، وهو ما يثير مخاوف روما يوغرطة ثاني يهدد مصالحها .(غانم محمد الصغير ، 2012 ، ص 321- 322) .

ويذكر أبيان رقما كبيرا يمثل جيش المملكة النوميدية في عهد يوبا الأول هو30 ألف من المشاة و20 ألف فارس، إضافة إلى عدد معتبر من الرماة (Appians , 1913 , II, 96)، تبدو هذه الأرقام مبالغ فيها إلا أنها تدل على توافر إمكانيات عسكرية هامة لدى هذا الملك وتفوقه على إمكانيات الرومان في مقاطعة إفريقيا (غانم محمد الصغير وآخرون، 2012، ص 322).

- **المشاة:** كان ليوبا الأول جيش من المشاة كما ذكرنا عدده سابقا، وهو مختلط من النوميديين الخفاف ورماة النبال الراجلين، وكان له جناحان مدعمين بسرايا

قوية من الفرسان)ويتميز بسرعة التحرك لتطويق الأعداء (Cezard J, 1949, xIII) .

- **الفرسان :** يعتبر الفرسان في الجيش النوميدي أكثر عددا من المشاة (حارش محمد الهادي ، 1992، ص113)، و هو ما ذكره صاحب كتاب حرب إفريقية بأن الخيالة النوميدية أكثر من المشاة ، على عكس ما أورده أبيان، وكانت ليوبا الأول وحدات عسكرية مدربة من طرفه شخصيا ، وتسمى بفئة الفرسان الثقيلة لدعم حرسه الشخصي(ايت عمارة ويزة ، 2015، ص ص 120- 130) ،كما كان يضم عناصر من شعوب البحر المتوسط، (رمضاني أم هاني، د ت ، ص 9)، المرتزقة الإسبان و الغاليين و كذلك الفارين من الأحزاب المتناحرة في روما (كامبس غابريال، 2009، ص 223) ، إضافة إلى الجيتوليين والمور (سي الهادي ذهبية ، 2019 ، ص 220.).

3.1.4 تمويل الجيش:

قام يوبا الأول بجمع كل ما لديه من الأموال لاستغلالها في المجال العسكري، وهذا ما يبين العدد الهائل من الخيول والفيلة المستعملة بالإضافة إلى تجنيد طاقم بشري ضخم لنفس الغرض، وتشير الدراسات إلى أن يوبا الأول خصص مبالغ كبيرة من أموال الخزينة العمومية من أجل دفع أجور الجنود وشراء الأسلحة (آيت عمارة ويزة وآخرون، 2018، ص 131)، و كذلك تدعيم القطاع العسكري بالأراضي القموح المؤونة (سي الهادي ذهبية، 2019، ص 220)، واستطاع هذا الملك إنعاش الخزينة العمومية لمملكته بفضل ما يدفعه المزارعون ورعاياه من الضرائب(آيت عمارة ويزة ، وآخرون ، 2018، ص 131) .

2.4 التجهيزات والمعدات الحربية:

4. 2. 1 العمارة الدفاعية:

- **الثكنات:** تشير الباحثة فتيحة فرحاتي بأن الملك يوبا الأول نظم جيشه على شكل فرق، وكون الثكنات العسكرية بالمدن (فرحاتي فتيحة، 2007، ص 214).

- **القلاع و الحصون و الأسوار:** أشار سالستيوس في كتابه حول مدينة زاما عندما وصل إليها القائد الروماني ماريوس وجدها محصنة بالأسوار إضافة إلى تحصينها طبيعيا (Saluste ,1968,LvII)، زاما التي يتحدث عنها سالوست لا شك أنها زاما كانت عاصمة يوبا الأول ، فهذا الملك أقام سورين جديدين حول السور الذي كان بها من قبل، وهو احتياط له ما يبرره في مكان تعوزه التحصينات الطبيعية ، و من جهة أخرى فإن عاصمة يوبا الأول كانت دون شك هي زاما الملكية التي ذكرت في عهد الإمبراطورية، وكانت له عاصمة أخرى اسمها سيرتا لكنه يفضل السكن في زاما (أكصيل صطيفان ، 2007 ، ج 5، ص 235)، وأورد صاحب كتاب حرب يوغرطة بأن القائد الروماني سيتيوس في جيش قيصر استولى على حصن منيع يقع في جبل كان يوبا و ضع فيه بالمؤونة ، و ذخائر الحرب و هذا دليل على أن هذا الملك كانت له حصون(Cezard J , 1949 ,XXXVI) .

وأشارت الباحثة ويزة آيت عمارة بأن العاصمة زاما محصنة بأسوار ثلاثية إضافة إلى تزيينها بمباني فخمة من قصور ومعابد تضمن له ملجأ منيعا في وقت الحرب (Ait Amara O,2007, K P 205).

4. 2. 2 الأسلحة و صناعتها : أورد الباحث حارش أن العديد من الأسلحة التي استعملها الجيش النوميدي في مختلف الحروب و المعارك من صنع محلي اعتمادا على الشواهد الأثرية و النصوص الأدبية تثبت ذلك ، و خاصة الرماح التي التي تنسب عادة إلى النوميديين و المور يضاف إليه السكين و الخنجر ، و السيوف

القصيرة ، كما نجد كذلك صناعة التروس و الدروع من جلود الفيلة التي كانت في المنطقة، وفي هذا الشأن يذكر أن الملك يوبا الأول جلب الحرفيين الإيطاليين لصنع الأسلحة في نوميديا (Gaid, 1985 , p 85).

4. 2. 3 الحيوانات المستخدمة:

- **الأحصنة :** تناولت بعض المصادر المادية موضوع الحصان النوميدي بإسهاب، وهذا ما أظهره نصب شمتو لفارس نوميدي مجهز بأسلحة ثقيلة ممتطيا خيله وفي حالة حركة، كما يرتدي سترة وأحذية، وكذلك حصانه مجهز بالسرج والشكيمة واللجام (آيت عمارة ،2007، ص125)، ووصف منتيسكيو بأن خيول نوميديا تمتاز بالجودة (مونتسيكيو ،2011، ص47)، كذلك فيما يخص هذا العنصر فقد ذكر الباحث عقون أن الحصان عماد الحروب والمعارك لدى الملوك النوميد مثل ماسينيسا، يوغرطة، يوبا الأول، وتمتاز بالسرعة و سهولة الانقياد، والقصر، وعادة ما يكون لونها رمادي في الغالب و عند موته يقيمون له قبرا (العقون محمد العربي ،2008، ص22).

-**الفيلة**: يعتبر الفيل من أبرز الحيوانات التي تشتهر بها قارة إفريقيا عامة، و نوميديا خاصة، وهناك شواهد أدبية و مادية تثبت وجود هذا الحيوان ، ظهر هذا الحيوان في عملة يوبا الأول إلى جانب صورة الملك (بولخلوخ محمد، 2015، ص 111-112)، وقد امتلك يوبا الأول حوالي 120 فيلا.(سي الهادي ذهبية، 2019، ص220).

- **الجمال :** أشار صاحب كتاب حرب إفريقيا إلى استحواذ يوليوس قيصر على أثناء حملته على إفريقيا على 22 جمل كانت ملك ليوبا الأول (Cezard J , locit LxvIII,)، وهذا اعتراف صريح بوجود الجمال خلال العهد النوميدي، وهذا

التصريح يدل على استخدامها في المعارك سواء كوسيلة حرب أو كأداة لنقل المؤونة, (قداش محفوظ ،1993، ص 243) .

- **الكلاب :** اعتبر الكلب من أبرز الحيوانات وفاء لصاحبها ، و أقدمها استأنسا، وتشير بعض المعلومات حول استعمال الكلاب من طرف الحرس الملكي لحراسة الملوك النوميديين ، و حمايتهم من أي اعتداء (أكسيل صطيفان ، 2007 ، ص 252) .

3 .4 الإستراتيجيات الحربية:

1 .3 .4 الكر والفر: هي نوع من الفنون العسكرية التي يسميها البعض بحرب العصابات حيث تعتمد على عنصر المفاجأة والسرعة في التنفيذ تجمع بين أسلوبي الكر والفر والكمائن، كما يعتمد على استخدام وحدات صغيرة قليلة العدد لغرض الانسحاب بسرعة، و كان الجيش النوميدي يشتهر بحرب العصابات والكر والفر لكن النصوص التاريخية أخبرتنا بأن يوبا قد خاض العديد من المعارك الميدانية (بولخلوخ محمد، المرجع السابق ، ص 145) ، وقد ذكر صاحب كتاب حرب إفريقية هذه الإستراتيجية التي يعتمد عليها النوميد. (قيصر يوليوس، المصدر السابق، الفقرة Lxix)

2 .3 .4 المناورات: هي نوع من الأساليب الحربية التي تبدأ بها المعارك، وهي عمليات عسكرية تعتمد على التصرف بطريقة تجعل العدو مصدر الهجوم، ويفقد تركيزه، وهو أسلوب استخدمه قائد يوبا الأول وهو صابورا في معاركه. (بولخلوخ محمد، 2015 ، ص 147) .

3 .3 .4 أسلوب الدعاية و الاستعراض العسكري: يعني إشعار العدو بضخامة الجيش، وعدم القدرة على مواجهته، كما فعل يوبا الأول بإحداث ضجة أثناء اقترابه

من جيش قيصر، حيث أثار القلق في نفوسهم (قيصر يوليوس، المصدر السابق ، الفْقرة 16=) ، كما اعتمد على الجواسيس كأفضل استخبارات للحصول على معلومات حول العدو(بولخلوخ محمد، 2015، ص 69).

4. 3. 4 الإجازات والعقوبات:

هناك نص في كتاب حرب إفريقية يشير إلى تلقي خيالة يوبا الأول رواتبها (يوليوس قيصر، 2014، الفقرة 8)، كما أشار إلى القائد سكيبيو الذي كان ينفق على خيالة هذا الملك على حساب مقاطعة إفريقيا، و هذه تبين لنا بأن الجيش يتلقى إجازات(يوليوس قيصر، 2014، الفقرة 10) ، أما بالنسبة للعقوبات فنحن نملك شذرات قليلة فقط إذا ما تحدثنا عن يوبا الأول ، فنجده قام بمعاقبة كل النوميديين الذين تخلوا عن مراكزهم و الفرار إلى المعسكر بالإعدام(يوليوس قيصر ، 2014 ، الفقرة 18) .

4. 5. 5 البحرية: أشارت الباحثة آيت عمارة إلى امتلاك المملكة النوميدية أثناء حكم يوبا الأول أسطولا بحريا (Ait Amara , 2007, p 139)، استخدمه لأغراض عسكرية في حروبه ضد الرومان على الأراضي الإفريقية، إذ يشير مؤلف كتاب الحرب الإفريقية إلى امتلاك يوبا الأول لبحارة عسكريين، ومجدفين من الجيتول خدموا ضمن جيوشه (Cezard J , 1949, Lxii).

حيث قام يوبا الأول بإرسال مفرزة إلى أوتيكا استعدادا لمعركة بحرية جهز لها حوالي خمسون سفينة يعمل فيها الجيتول كمجدفين، وأشارت الباحثة آيت عمارة بأن الممالك الإفريقية امتلكت أسطولا بحريا، إضافة إلى موانيء متعددة ساهمت في إرساء السفن الحربية والتجارية، ولعل مما ساعد المملكة في صناعة السفن إنما

يعزى إلى في الأساس إلى وفرة الأخشاب بأنواعها علاوة على وفرة المعادن اللازمة لصناعة السفن(Ait Amra , 2007, pp139 - 142) .

5. خاتمة:

استنادا لما سبق ذكره نستنتج ما يلي:

- أن الملك يوبا الأول كان شخصية بارزة وقوية، حيث استطاع أن يعيد بناء وتنظيم مملكة نوميديا التي كانت تعيش حالة الضعف قبل اعتلائه العرش النوميدي.

- قام الملك يوبا الأول باسترجاع ما ضاع من ممتلكات مملكته، وبناء اقتصاد قوي استعمله أساسا في أغراض عسكرية.

- قام هذا الملك بتنظيم جيش قوي من العدة والعتاد والتدريب لمواجهة أعدائه.

- تزامنت فترة حكم يوبا الأول مع ظهور صراع روماني روماني جديد بين بومبيوس وقيصر، حيث انحاز هذا الملك لأحد أطراف الصراع، وذلك خدمة لمصالح مملكته.

6. قائمة المراجع:

- المصادر باللغة العربية:

1- سترابون، وصف ليبيا ومصر، ترجمة: محمد المبروك الدويب، الكتاب السابع عشر، جامعة قار يونس، بن غازي، ليبيا.

2- **بليني الاكبر**، التاريخ الطبيعي (وصف إفريقياو مصر و غرب آسيا) ط 2، ترجمة، محمد المبروك الدويب، الكتاب الخامس، كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا، 2019 .

3- **قيصر يوليوس**، حرب إفريقيا 47- 46 ق م، ترجمة : محمد الهادي حارش ، دار هومة ، الجزائر ، 2014 .

-المصادر باللغة الأجنبية:

1-Lucain .M ,A,La pharsale , trad , M, J , J , courtaud divenerssie – c l f – pankouk. Paris , s d , Liv IV .

2-**Cesar , J** , La guerre civile , trad M Nizard , ed Bcs , France ,Ho Liv II , xL, 1.

3- Cesar J , Guerre d,Afrique , trad :A, Bouvet ? Paris 1949xII -

4-Appians , Roman History , transV III, trans , Horase White, M ,A, Harvard university London, 1913-4

5-Salluste , La guerre de jugurtha , trad par :Richard F , Ed Garmier, Fammarion , Paris , 1968**.**

- المراجع باللغة العربية:

1- أكسيل اصطيفان ، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج 5 ، الممالك الأهلية و نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ترجمة: محمد التازي سعود ، مطبوعات المملكة المغربية ، الرباط 2007 .

2- **أكسيل صطيفان**، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج7، الجمهورية الرومانية والملوك الأهالي، ترجمة : محمد التازي سعود ، المملكة المغربية، الرباط، 2007 .

3- بولخراص حمادوش، سياية يوليوس قيصر التوسعية و انعكاساتها على نوميديا، 49-44 ق م،مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ القديم ، جامعة الجزائر 2 ، 2013.

4- حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ندار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

5- حارش محمد الهادي، مملكة نوميديا (دراسة حضارية منذ اواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق م)، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر .2014.

6- سعود محمد التازي، صفات من تاريخ المغرب القديم، منشورات فكر، الرباط . 2008

7-قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة ، تلار: عبا صال ، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1993 .

8- فرحاتي فتيحة ، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني ، 213 – 46ق م ،منشورات ابيك ، 2007 .

9- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والضارة البونية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2006.

10- فروخي محفوظ، أسلافنا الملوك النوميديين أو إيجليدن إيمازيغن، (من لقرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول بعد الميلاد) تر، أحمد بن محمد بكلي ، اليمن . 2011

- المراجع باللغة الأجنبية :

1-GaidK M , Agueellids et roman en berberieK 2e ed , Opu Enal , alger , 1985.

2-Ait Amara ,O ,Recherche sur les Numides et Maurres face a la guerre , depuis les guerres puniques j, usqu,a l,oque de juba1, these doctora Universite moulain jean, Lyon 3 , France 2007.

3-Muller ,L ,Numismatiques de L,ancienne afrique , les monnaies de la Numidie et de la moritanie , Imprimerie Bianco lunco Copenhaque , 1862.

-4- Mazard , J , corpus de Monnaies de la numidie et de la Mouretanie , ed , Art et metier graphique , paris , 1955.

5-Himeur – Ensighaoui , O , Ils on tdefie L, Empire Juba 1, Tacfarinas , Firmus , Gildon ,Casbah ed Alger 2009 .

6-Coltellon , T Juba , eb , peeter publishers , é5 , 2003 .

7-Djenas , M , La saga du rois Numides entre Carthage et Rome ? ed casbah , Alger , 2010 .

8-**Tahar Mohamed** , Deux Inscriptions Inedites Mentionnant le nom du roi Juba premier, les cahiers de Tunisie No 226/227 ed, 2018- 2020 .

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي

خلال القرن 6هـ/12م

Commercial activity between the Central Maghreb

and the Western Sudan countries

During the 6th century AH/12AD

د/ مرزاق بومداح[1]

المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة (الجزائر)، merrzzakk@gmail.com

تاريخ الاستلام: ../../2022 تاريخ القبول: ../../2022 تاريخ النشر: ../../2022

ملخص:

ازدهر النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م. وساهمت عدة عوامل في هذا الازدهار كالموقع الجغرافي، وانتشار الدين الإسلامي، وانتشار المراكز التجارية، ووجود عدة محطات لاستراحة التجار والمسافرين، وتوفر الأدلاء والرعاة. وقد تنوعت المبادلات التجارية بين الطرفين، ومن أهم السلع التي كانت تُصدر من المغرب الأوسط إلى بلاد السودان الغربي نذكر: الحبوب والزيتون والمواد المصنعة كأدوات الطهي والسكاكين والأسلحة بمختلف أنواعها، والمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية، وبعض المعادن كالنحاس والملح، بالإضافة إلى بعض الحيوانات كالخيول والبغال، وعند الحديث عن واردات المغرب الأوسط من السودان الغربي نجد: الذهب وريش النعام، والعبيد.

كلمات مفتاحية: المغرب الأوسط؛ السودان الغربي؛ النشاط التجاري؛ الصادرات؛ الواردات.

Abstract:

Commercial activity flourished between the countries of the Central Maghreb and the countries of Western Sudan during the 6th century AH/12 AD, and several factors contributed to this prosperity, such as the geographical location, the spread of the Islamic religion, the spread of commercial centers, the presence of rest stops for merchants, and the availability of guides and shepherds. Commercial exchanges varied between the countries of the Central Maghreb and Western Sudan, and among the most important commodities that were exported from the Central Maghreb to

the countries of Western Sudan are: grains, olives, and manufactured materials such as cooking utensils, knives, and weapons of various kinds, in addition to cotton, wool, and silk textiles, and some metals such as copper and salt, in addition to Some animals, such as horses and mules, and when talking about Central Maghreb's imports from Western Sudan, we find: gold, ostrich feathers, and slaves.

Keywords: Central Maghreb; Western Sudan; Commercial activities; Exports; Imports.

***المؤلف المرسل:** د/مرزاق بومداح

1. مقدمة

إن تاريخ العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي عريق جدا يمتد إلى العصور القديمة، ليعرف ازدهارا وأكثر نشاطا في فترة العصور الوسيطة. وسيكون موضوع دراستنا عن النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م أي خلال الفترة التي كان فيها بلاد المغرب الأوسط خاضعا لحكم الحماديين، والمرابطين، ثم دولة الموحدين.

والإشكالية المطروحة هي على النحو التالي:

فيما تتمثل أبرز العوامل التي ساهمت في تنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي؟ وما هي أهم الطرق التجارية التي كانت تربط بين المنطقتين؟ وكيف ساهمت المبادلات التجارية في تحقيق التكامل الاقتصادي وفي تعزيز العلاقات السياسية والثقافية بين الطرفين؟

2. جغرافية بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي:

قبل التطرق لأهم العوامل التي ساهمت في تنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي لا بد من الحديث ولو بصورة موجزة عن جغرافية بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي.

1.2 جغر افية بلاد المغرب الأوسط:

ظهر مصطلح بلاد المغرب في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير في تاريخه (ابن الأثير، 1997م، ج2، ص689)، ويبدو أنه استُعمل هذا المصطلح في تلك الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي كان يشمل بلاد مصر وما يجاورها، وبلاد الشام وما يجاوره من المناطق الأخرى، وأما بلاد المشرق الإسلامي فكان آنذاك يشمل بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس والعراق، وأما مصطلح بلاد المغرب الذي كان يُستعمل للدلالة على شمال إفريقيا فالراجح أنه لم يستخدم هذا التعبير قبل القرن 3هـ/9م (لقبال، 1981، ص ص14-15).

وقسم المؤرخون المسلمون بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى أو إفريقية وقاعدته القيروان ثم تونس، وتم إطلاق لفظ أدنى لقربه من بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز، ومصطلح المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان أو جزائر بني مزغنة... وسمي بالمغرب الأوسط لوقوعه بين المغرب الأدنى والأقصى، ومصطلح المغرب الأقصى وسمي بالأقصى لبعده عن دار الخلافة، ووقوعه في أقصى ببلاد المغرب. (الناصري، د. ت. ط، ج1، ص127).

وعند حديث ابن خلدون عن جغرافية بلاد المغرب الأوسط يذكر لنا أنه جزء من الإقليم الثالث حيث يحده غربا نهر ملوية، ويضم تلمسان وسواحلها على البحر الرومي من بلد هنين ووهران وجزائر بني مزغنة ثم يتصل ببجاية شرقا ويضم بلد

أشير وبلد المسيلة، ثم بلاد الزاب وقاعدته بسكرة تجت جبل الأوراس المتصل بدرن وتبسة والأربس، وعلى ساحل البحر الرومي نجد مدينة بونة (عنابة). ويحده شرقا بلاد إفريقية أو بلاد المغرب الأدنى، أما الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط فحده العرق الكبير، وهو سياج على المغرب من الجهة الجنوبية، ويعترض العرق أرض محجرة تسمى عند العرب الحمادة، وتمتد إلى بلاد ريغ والمناطق الجنوبية للمغرب الأوسط هي تيكورارين وتسابيت، ويمتد غربا إلى بلاد بودة وتمنطيت، وتمتد حدوده الجنوبية شرقا إلى أن تصل إلى غدامس وفزان وودان. (ابن خلدون، 1981، ج6، ص ص131-132).

2.2 جغر افية بلاد السودان الغربي:

كان العرب أول من أطلق لفظ السودان على الشعوب والقبائل التي استوطنت منطقة جنوب الصحراء الكبرى، وسموا بلادهم باسم "بلاد السودان" وتم إطلاق لفظ السودان نسبة إلى لون بشرة السكان السوداء، والتي تقابلها شمالا بشرة السكان البيضاء أو كما أطلق عليهم ابن حوقل بلد البيضان وهم سكان بلاد البربر، وعلى رأي الحسن الوزان فإن الأفارقة ينقسمون إلى قسمين: الأفارقة السود والأفارقة البيض، وذكر أن الأفارقة البيض خمسة شعوب وهم: صنهاجة، مصمودة، زناتة، هوارة، غمارة. (ابن حوقل، 1938، ج1، ص105) (الوزان، ج1، ص36).

وحدد لنا ابن حوقل (ت. بعد 367هـ/978م) الحدود الجغرافية لبلاد السودان الغربي في جنوب الأرض في أقصى المغرب على البحر المحيط، وذكر بأنه بلد ملتف، وأن له حدا ينتهي إلى البر، وحدا ينتهي إلى البحر المحيط (ابن حوقل، 1938، ج1، ص16)، وأما الاصطخري (ت. 346هـ/957م) فذكر لنا أن بلاد السودان بلاد عريضة إلا أنها قفرة، وتمتد بلادهم إلى قرب البحر المحيط مما يلي الجنوب، ومما يلي الشمال على مفازة ينتهي إلى مفاوز بلاد مصر، ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة،

وعلى مفاوز بينه وبين بلاد الزنج، وتنقطع بين السودان وغير من الدول الاتصالات إلا على ما كان عن طريق البلاد المغربية (الاصطخري، د. ت. ط، ص ص34-35). ووصف لنا الإدريسي (ت. 560هـ/1165م) بلاد السودان بأنها أراضي صحراوية قليلة السكان، والمياه قليلة لا توجد إلا في الجبال أو في السبخات (الإدريسي، 1409هـ، ج1، ص109). وأما القزويني (ت. 682هـ/1283م) فحدد لنا بلاد السودان بأنها أرض واسعة يحدها من الشمال بلاد البربر، ومن الجنوب البراري، ومن الشرق أرض الحبشة، ومن الغرب البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، ويمتاز مناخه بالحرارة الشديدة. (القزويني، د. ت. ط، ص34).

من خلال ما ذكره المؤرخون والجغرافيون المسلمون نلاحظ أنهم لم يحددوا لنا الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي بدقة، وإنما ذكروا لنا موقع بلاد السودان ككل، لأن تقسيم بلاد السودان إلى قسم غربي وأوسط وشرقي إنما جاء مع الاحتلال الأوروبي للمنطقة، وذكر لنا الحسن الوزان أهم ممالك بلاد السودان الغربي الواقعة على نهر النيجر ابتداء من الشرق إلى الغرب، وهي: ولاتة، جني، مالي، تنبكتو، كاوو، كوبير، أغدس، كانو، كلاتسينة، زكزك، زنفرة، نكرة، بورنو، كاوكا، نوبة، وكان على كل مملكة من الممالك المذكورة ملك مستقل. (الوزان، 1983، ج1، ص33).

يمكننا القول أن بلاد السودان الغربي تطل غربا وجنوبا على المحيط الأطلسي، وتحدها الصحراء الكبرى شمالا، ومن الشرق تتاخم بحيرة تشاد، وباختصار تشمل المنطقة التي تعرف اليوم بحوض السنغال وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط. (الدالي، 1999، ص19).

3. عوامل ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي:

ساهمت عدة عوامل في ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، ومن أبرزها نذكر ما يلي:

1.3 انتشار الدين الإسلامي:

إن العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي تعود إلى عصور قديمة، وقد تعززت هذه العلاقات مع انتشار الإسلام في المنطقتين، وخاصة بعد توغل التجار المسلمين في بلاد السودان الغربي، وما كان يتصف به هؤلاء من أخلاق سامية جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، حيث حرّم الإسلام الغش في التجارة، وحرّم الربا وأنواعا من البيوع التي تتضمن الغرر كبيع النجش، وتلقي الركبان، وبيع الرجل على أخيه؛ فالتاجر المسلم القادم من بلاد المغرب الأوسط وما كان يتصف به من صدق وأمانة قد ترك آثارا طيبة على سكان بلاد السودان الغربي مما ساهم في توطيد وتمتين العلاقات التجارية بين المنطقتين. (الجمل وإبراهيم، 1996، ص ص85-93).

2.3 الموقع الجغرافي:

ساهم الموقع الجغرافي في تمتين العلاقات بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط، حيث لا يفصل بين البلدين بحر أو محيط أو جبال وعرة، وإنما يفصل بينهما الصحراء الكبرى التي أدت منذ العصور القديمة دور الوصل بين شمال إفريقيا وبلاد السودان الغربي، حيث تُظهر لنا النقوش الصخرية الموجودة بالصحراء على أن سكان بلاد المغرب الأوسط كانوا على اتصال بسكان بلاد السودان الغربي منذ العصور القديمة، والتي تُظهر عربات تجرها الخيول، كما تُحدد معالم بعض الطرق التي كانت معروفة آنذاك. (هواري، 2021، ص319).

وساهم الجمل كوسيلة نقل في عملية التواصل بين المنطقتين حيث تمكن من جعل الصحراء سهلة المرور والاستغلال (بن عميرة، 1985، ص28)، وذلك لأن الجمل يمتلك خصائص تتلاءم مع طبيعة الصحراء ومناخها، فهو يكتفي بالشرب مرة كل أسبوعين في أيام الصيف، وأطول من ذلك في فصل الشتاء، وله القدرة على تخزين المياه لمدة شهر كامل أو أكثر، ويستطيع قطع مسافة 50 كلومتر دون توقف، بالإضافة إلى طول رقبته التي تحقق له التوازن حتى يتمكن من الحمل الثقيل، وبذلك يكون هناك تناسب بين قوائمه ورقبته، كما أن اتساع المناسم في أرجله سهّل له المشي في التربة الرملية أو الكلسية دون الغوص فيها، بالإضافة إلى ذلك فإن الجمل يستطيع أن يحمل ثقل وجر ضعفي ما يقوم به الثور الواحد، ونظرا لتمتعه بهذه الصفات جعلته يقوم بدور هام في عملية التواصل التجاري، ويساهم في ازدهار التجارة بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي. (زنيد، 2002، ص181).

3.3 انتشار المراكز التجارية:

من أهم المراكز التجارية ببلاد المغرب الأوسط نذكر ما يلي: تيهرت التي كانت من أهم المراكز التجارية منذ العهد الرستمي، حيث كانت تتم فيها المبادلات التجارية خاصة مع سجلماسة، وبجاية. وورجلان التي كانت سلعها تنقل إلى بلاد السودان الغربي وونقارة مقابل استيراد التبر الذي كانت تسك منه الدراهم والدنانير، وتوات التي تعتبر حلقة وصل بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي، وعند الحديث عن المراكز التجارية ببلاد السودان الغربي نذكر: ولاتة التي هي حاليا إحدى مدن دولة موريتانيا الحالية التي أصبحت مركزا تجاريا هاما بعد سقوط مملكة غانة وقيام إمبراطورية مالي. وجني التي تقع إلى الجنوب الغربي من تنبكت التي اشتهرت بتجارة الملح والذهب. وتنبكت التي تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر وقد ساعدها موقعها الجغرافي الهام في أن تؤدي دورا كبيرا في

المبادلات التجارية. وجاو التي تقع في الشمال الشرقي من باماكو وقد ساعدها موقعها على منحنى نهر النيجر نحو الجنوب بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد نهر النيجر؛ فتجمعت في هذه المدينة سلع المنطقة كلها وارتادتها القوافل التجارية. (الدالي، 1999، ص ص294_309).

وعملت هذه المراكز التجارية على تزويد التجار والمسافرين بكل ما يلزمهم من غذاء وماء، وغالبا ما كان تجار السودان الغربي وتجار المغرب الأوسط يقومون بعرض بضائعهم هناك، حيث تحولت هذه المراكز إلى نقاط ارتكاز للتجارة مع بلاد السودان الغربي، ومحطات لانطلاق القوافل التجارية باتجاهها، واشتغلت أعداد كبيرة من سكان هذه المراكز بالتجارة الداخلية والخارجية، فكان التجار يقومون بمهمة جمع البضائع والسلع من مختلف أنحاء بلاد السودان الغربي وبالتالي عرف التواصل التجاري بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي تطورا كبيرا في مختلف المجالات وخاصة في المجال التجاري. (هواري، 2021، ص ص325-326).

3-4 وجود محطات لاستراحة المسافرين:

نظرا لبعد المسافة بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط فقد أنشأت عدة محطات لاستراحة المسافرين، وقد أدت الآبار دورا كبيرا في تأمين الماء للقوافل التجارية، حيث كانت هناك عدة محطات تستريح فيها الإبل ويلتقي فيها المسافرون والتجار، يراقبون فيها حمولتهم، ويتبادلون أخبار الطريق، ويتعارفون على أسعار المنتجات، وعلى أهم الطرق الآمنة لسير القوافل التجارية، كما كانوا يقومون بأداء الصلوات، ومن أهم الآبار نذكر بئر تنزروفت، وآبار الأزواد ببلاد السودان الغربي. (عباس، 2017، ص214).

3. 5 دور الرعاة والأدلاء في تنشيط التبادل التجاري:

عند الاطلاع على ما ذكره الحسن الوزان فإن مواقيت الرحلات التجارية كانت تتحكم فيها عوامل عدة كسقوط الأمطار ونمو بعض أعشاب الرعي، وهذا أمر يعرفه

الرعاة أكثر من غيرهم، وقد ساهم ذلك في أن يتحول هؤلاء الرعاة إلى تجار وأدلاء، مما ساهم ذلك في تنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، فعمل هؤلاء الرعاة في مساعدة التجار على اقتحام الطرق الصحراوية الصعبة، وفي تحقيق أيضا التواصل اللغوي بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي وخاصة إذا علمنا أن اللغة العربية أصبحت في العصر الوسيط هي اللغة التي يتعامل بها أكثر تجار البلدين. (الوزان، 1983، ج1، ص81) (هواري، 2021، 328-327).

3. 6 دور المرابطين والموحدين في تنشيط التبادل التجاري:

عرف بلاد المغرب الأوسط في عهد المرابطين ازدهارا كبيرا للنشاط التجاري عبر الصحراء الكبرى، وهذا الدور قامت به القبائل الصنهاجية التي تمكنت من السيطرة على بعض المراكز التجارية كسجلماسة وأودغشت، والتحكم على منافذ بعض الطرق التجارية، وقد تميزت علاقات بلاد المغرب الأوسط مع بلاد السودان الغربي في العهد المرابطي بالتعاون السياسي والتجاري، حيث رحب ملك غانة بالتجار المسلمين وذلك لسمو أخلاقهم وخبرتهم بالسياسة والإدارة؛ فاستعان بهم في تسيير شؤون الحكم، وقلدهم المناصب العليا في بلاده، وتمكنوا من إنشاء عدة أسواق ومراكز تجارية، وساهموا في بناء المساجد لتأدية الصلوات والشعائر الدينية، فانجذب إليهم عامة الناس الذين كانوا يكنون لهم كل الاحترام والتقدير. وقامت القبائل الصنهاجية في العهد المرابطي بتوفير الأمن والحماية للقوافل التجارية، وحفر الآبار، مقابل فرض الإتاوات والضرائب على التجارة العابرة لتلك الطرق. (خالدي، 2020، ص ص50-51).

وأما في العهد الموحدي فقد هاجرت بعض القبائل العربية من بني هلال كقبائل الأثبج ورياح وجشم واستقرت على ضفاف نهر السنغال ونهر النيجر، وقامت بطون عرب المعقل الذين أطلق عليهم اسم قبائل الشابات بالاستيلاء على مراكز

تجارية هامة في بلاد السودان الغربي، كما قامت أسرة المقري التلمسانية بتنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي على ما يبدو منذ القرن 6هـ/12م حيث كان لهم وكلاء في مدينة ولاته الخاضعة آنذاك لمملكة غانة. (خالدي، 2020، ص ص52-54).

4. الطرق التجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي:

انتشرت عدة طرق تجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي، حيث ساهمت في تيسير حركة تنقل التجار والقوافل التجارية بين المنطقتين ذهابا وإيابا، ومن أهم هذه الطرق نذكر ما يلي:

4. 1 طريق تلمسان إلى السودان الغربي: ذكر لنا الإدريسي وهو من مؤرخي القرن 6هـ/12م أن القوافل التجارية كانت تتجه من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفروي إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة.. وأما الطريق الثاني فكانت تأخذه القوافل التجارية من مدينة تلمسان إلى قرية تارو ومنها إلى جبل تامديت، ومنها إلى غايات ومنها إلى صدرات ومنها إلى جبل تيوى ومنها إلى فتات بئر في وسط الصحراء ومنها إلى شعب الصفا إلى تندلى ومنها إلى قرية تمسنان ومنها إلى تقربت ومنه إلى سجلماسة. وهذا الطريق على رأي الإدريسي نادر العبور. (الإدريسي، 1409هـ، ج1، ص ص249-250). ومن سجلماسة كانت تسير القوافل التجارية متوجة نحو مالي بداية بواحة ولاتة، ثم إلى تمبكتو أو إلى أدغشت وإلى منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر. (قربان، 2017، ص372).

وكانت كثافة الطرق التجارية بين سجلماسة وتلمسان تدل على أنهما كانتا المركزين الرئيسين في تجارة السودان الغربي إبان فترة حكم المرابطين، وكانت سجلماسة أهم مدخل لطرق القوافل إلى بلاد السودان وأكثرها شهرة وأهمية، وأما تلمسان فكانت نقطة تفضي إلى إفريقية والمشرق والأندلس وحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث دبت الحياة في هذه المدن بفضل ما تمتعت به من مواقع إستراتيجية وتجارية. (الذيب، 2009، ص352)

4. 2 طريق وهران وأرزيو إلى تنبكت: يمر هذا الطريق على خيثر ومشرية وعين الصفراء وفجيج، ويتبع مجرى وادي زوزفانة إلى إيجلي أين يلتقي مع طريق فاس تنبكت، ولهذا الطريق فرع آخر يمر بمدينة توات أين يلتقي مع طريق وهران فاس مكناس، تنبكت (عطلي، 2017، ص249).

4. 3 طريق تيهرت إلى السودان الغربي: ينطلق هذا الطريق من تيهرت إلى ورجلان وسدراتة ووادي ميزاب ليصل إلى تغازي وأدغشت ووتادمكة في أدرار وإيفوجة وراء جاو. (عطلي، 2017، ص249).

4. 4 طريق توقرت ورجلان إلى جاو: يبدأ هذا الطريق من موانئ بلاد المغرب الأوسط كموانئ سكيكدة وبجاية وجزائر بني مزغنة وشرشال وتنس ليصل إلى توقرت وورجلان (ورقلة)، لينتهي في مدينة جاو الواقعة على نهر النيجر، وهناك طريق فرعي عند مدينة ورجلان الذي يتجه إلى أكدز بإقليم التشاد. (عطلي، 2017، ص249). ويفيدنا روجي إدريس أن وارجلان كانت مرتبطة بموانئ المغرب الأوسط عن طريق المسيلة، وبشرق إفريقية عن طريق قفصة منذ عهد الدولة الرستمية وأن تأسيس مملكة بني حماد منذ أوائل القرن 5ه/11م والذي استمر إلى سنة 547ه/1152م لم يقطع هذا الطريق الرابط بين قفصة وورجلان. (روجي إدريس، 1992، ج2، ص291).

4. 5 طريق توات إلى بلاد السودان الغربي: تعد منطقة توات جزء من الصحراء الكبرى وتقع حاليا في الجنوب الغربي بولاية أدرار الجزائرية (رموم، 2016، ص83)، وكانت تمثل مدينة توات حلقة وصل بين بلاد المغرب الإسلامي ومصر وبين بلاد السودان الغربي، ويعد طريق توات إلى تغازة وتاوديني أهم طريق تسلكه القوافل التجارية محملة بمختلف السلع والبضائع، وينتهي هذا الطريق إلى مدينة جاو مرورا

بولان، وهناك طريق آخر يسير من تمنطيط ليلتقي مع الطريق السابق في ولان (عطلي، 2017، ص249). وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية هذا الطريق وذكر أنه محط ركاب التجار المتوجهين من المغرب إلى مالي أو القادمين من مالي إلى المغرب (ابن خلدون، ج7، ص77).

5. المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي:

تنوعت المبادلات التجارية من صادرات وواردات بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، ومن أهمها نذكر ما يلي:

5. 1 صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد السودان الغربي: من أهم صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد السودان الغربي:

5. 1. 1 المواد الغذائية: كان يصدر المغرب الأوسط إلى بلاد السودان الغربي المواد الزراعية وعلى رأسها الحبوب كالقمح والشعير، حيث أن الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ المغرب الأوسط ساعدت على أن يتوفر على إنتاج وفير من الحبوب على عكس بلاد السودان الغربي، إضافة إلى بعض الفواكه كالتين المجفف الذي كان يكثر استهلاكه في بلاد السودان الغربي، ويشتد عليه الطلب من بلاد المغرب الأوسط، والزبيب (مبخوت، 2006، ص324). كما كان يتم تصدير الخضر الجافة، والزيتون، والشحوم، والزبدة، والتين المجفف الذي كانت له قيمة خاصة، بالإضافة إلى التمر القادم من واحات ورجلان وتوات وتوقرت وبسكرة، وبعض الصادرات كالسكر والصنوبر والصمغ. حيث يقوم التجار بجمعه من مختلف أسواق بلاد المغرب الأوسط ليتم تصديره نحو بلاد السودان الغربي، (الدالي، 1999، ص331)

5. 1. 2 المواد المصنعة: من أهمها الأسلحة والأقواس والدروع والسهام والخوذات، وأدوات حديدية أخرى كأدوات الطهي كالقدور، وذات استعمالات أخرى كالسكاكين والأسلاك النحاسية، وكانت هذه المواد تأتي من جمهورية البندقية وبعض دول أوربا الغربية فتفرغ حمولتها بموانئ المغرب الأوسط ومنها إلى بلاد السودان الغربي (عطلي، 2017، ص255).

كما صدر المغرب الأوسط المنسوجات القطنية والصوفية، وكانت الأقمشة تُجلب من بلاد المغرب الأوسط ومن أوروبا عبر موانئ المغرب، حيث كان تجار البندقية وجنوة يتوافدون على بلاد المغرب الأوسط فيبيعون سلعهم هناك، وكان من أهمها الأقمشة التي كان جزء هام منها يصدر إلى بلاد السودان الغربي. وكانت الأقمشة التي تصدر على نوعين منها التي تصنع بتلمسان، كالمنسوجات الصوفية، ويحاك منها البرنس، والزربية، والكساء، ونسيج القطن، حتى أصبح معظم لباس سكان بلاد السودان الغربي في عهد الأسقيين من الأقمشة القطنية. وكانت العطور تشكل نسبة هامة من صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد السودان الغربي حيث كان يقبل عليها السكان لشرائها بأثمان باهضة، وحقق التجار من جراء ذلك أرباحا كبيرة، وكانت ترد هذه العطور من أوروبا إلى السودان الغربي عن طريق المغرب الأوسط وخاصة من مدينة تلمسان التي كانت بدورها تنتج أنواعا جيدة من العطور (مبخوت، 2006، ص ص325-327).

5. 1. 3 المعادن: من أهم المعادن التي كانت تصدر إلى بلاد السودان الغربي نذكر ما يلي:

-**النحاس:** ساهم تجار المغرب الأوسط في توفير هذا المعدن وتزويد الحرفيين الذين كانوا يشتغلون بتصنيع النحاس، وكان معدن النحاس يمر عبر واحات توات لتصل إلى أسواق السودان الغربي، وقد ذكر لنا ابن بطوطة أنهم كانوا يصنعون من

النحاس قضبانا في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربع مائة قضيب، وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة مثقال. (ابن بطوطة، 1417هـ، ج4، ص275). (مبخوت، 2006، ص227).

-**الملح:** كان الملح من المواد الأساسية التي كانت تُصدر إلى بلاد السودان الغربي لأنه يندر وجوده في تلك المناطق، وكان يتوفر بكميات كبيرة ببلاد المغرب الأوسط، وهو على أنواع فمنه الأبيض والرمادي والأحمر، وكان يساوي الرطل منه نصف مثقال (الوزان، 1983، ج2، ص280). ونظرا لندرة الملح في بلاد السودان الغربي فقد كانت تتم مقايضته بالذهب كما ذكر لنا ذلك صاحب كتاب الاستبصار وهو من مؤرخي القرن 6هـ/12م. (مجهول، 1986، ص219).

5. 1. 4 الخيول والبغال: عرفت تجارة البغال رواجا كبيرا في أسواق بلاد السودان الغربي، وذلك لقوتها وقدرتها على الكر والفر في الحروب، واختص بشرائها الملوك وحاشيتهم، ونظرا لقسوة المناخ وارتفاع درجة الحرارة في بلاد السودان الغربي كان من الصعب تربية الخيول في تلك المناطق، لذلك كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة من بلاد المغرب الأوسط، وكانت أسعارها باهظة الثمن. وحكرا على الطبقة الغنية. (القلقشندي، 1987، ج5، ص276) (عطلي، 2017، ص255).

5. 2 واردات المغرب الأوسط من بلاد السودان الغربي: من أهم واردات المغرب الأوسط من بلاد السودان الغربي نذكر ما يلي:

5. 2. 1 الذهب: يُعتبر الذهب من أهم المعادن التي كان يتم تصديرها نحو بلاد المغرب الأوسط. وكان يوجد بكميات كبيرة في بلاد السودان الغربي، وخاصة في أعالي نهر النيجر، وفي بلدة وقارة وفي بمبوك في الجنوب الغربي من باماكو، وسيكا سو وبرسني وكرنوف وغيارو وغانة وأودغشت وغيرها من المناطق. (الدالي، 1999، ص

ص282-283). وقد وصف لنا صاحب كتاب الاستبصار بأن معدن الذهب في بلاد السودان الغربي ترابه أحمر وطريقة استخراجه كطريقة استخراج معادن الحديد والنحاس والفضة. (مجهول، 1986م، ج1، ص219)

وكان الذهب يُجلب إلى بلاد المغرب الأوسط على شكل سبائك أو قطعا نقدية أو تبرا، وقد عرض تجار المغرب الأوسط أنفسهم للخطر عندما كانوا يقطعون الصحراء الكبرى ولمسافات بعيدة في ظل وجود قطاع الطرق في بعض الأحيان، مع ندرة المياه وارتفاع درجات الحرارة، وهذا كله من أجل اقتناء أكبر الكميات من الذهب الذي كان نادر الوجود بأرض المغرب الأوسط خلال تلك الفترة، وكان الذهب يُنقل على ظهر الجمال ثم يقوم التجار ببيعه في أسواق تلمسان وهنين ووهران.

5. 2. 2 العبيد: كان تجار المغرب الأوسط يجلبون العبيد من أسواق بلاد السودان الغربي، ومن أشهر أسواق النخاسة نذكر سوق مدينة غاو الذي يعتبر من أكبر أسواق تجارة العبيد، وكان العبيد يتم استخدامهم في النشاط الصناعي، وفي استخراج الملح والنحاس، وتشغيلهم في النشاط الزراعي حيث كانوا يحتاجون إلى الأيدي العاملة، بالإضافة إلى ذلك كان العبيد يعملون على نقل بضائع التجار وحراسة القوافل التجارية، ويؤخذون للعمل في القصور لدى العائلات الغنية، وفي حراسة بعض السلاطين حيث نذكر على سبيل المثال كان في جيش المرابطين فرقة عسكرية من الحرس الأسود كانت تستخدم للحراسة وفي خوض الحروب والمعارك.(مبخوت، 2006، ص ص331-332). واشتهرت مدينة وارجلان (ورقلة) بتجارة العبيد حيث ذكر لنا ابن سعيد أن هذه المدينة من أهم المراكز المتخصصة في تجارة العبيد. ومن مدينة وارجلان كان يتم إرسال العبيد إلى مختلف أنحاء بلاد المغرب الأوسط وإفريقية. (ابن سعيد، 1970، ص126).

5. 2. 3 العاج: العاج على حسب ما ذكره الرازي (ت. 666هـ/ 1267م) فإن العاج هو عظم الفيل الواحدة أي نابه، ويقال لصاحب العاج عَوَّاجٌ بالتشديد. (الرازي، 1999، ص220). وقد دخلت تجارة العاج إلى بلاد المغرب الأوسط عبر تجار بلاد السودان الغربي، وكانت تُصدر منه كميات كبيرة حيث جعلت سكان بلاد المغرب الأوسط يصنعون منه أواني للشرب، ويزينون به الخيل. (عطلي، 2017، ص254). وأما عن الحكم الشرعي في استعمال العاج وبيعه والانتفاع به فيذكر وهبة الزجيلي أن المشهور منع بيع العاج مطلقاً. وأجاز ابن وهب ذلك البيع، فمن رأى أن عاج الفيل ناب جعله كالميتة، ومن رأى أنه قرن معكوس جعل حكمه حكم القرن. (الزحيلي، د. ت. ط، ج5، ص356).

5. 2. 4 ريش وبيض النعام: كان لريش النعام رواج كبير في بلاد المغرب الأوسط حيث كان يستخدم في حشو الأرائك والمخاد في البيوت والقاعات، كما تتخذ منه مراوح للتهوية أو للزينة، وحقق السودان الغربي من تجارته أرباحا طائلة (عطلي، 2017، ص254). (الدالي، 1999، ص278-279). وأما عن بيض النعام فكان يستخدم محه في تركيب الأدوية، وكان يباع في أسواق المغرب الأوسط بأثمان مرتفعة. (مبخوت، 2006، ص332).

6. خاتمة

من خلال ما سبق يمكننا القول أن المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي قد عرفت نشاطا تجاريا هاما خلال القرن 6هـ/12م، وقد ساهمت عدة عوامل في ازدهار النشاط التجاري بين الطرفين، وكان للنشاط التجاري المزدهر آنذاك دور كبير في تحقيق التكامل الاقتصادي وفي تمتين العلاقات السياسية والثقافية بين البلدين.

7. قائمة المراجع:

-المصادر

1-ابن الأثير علي، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م، ط1.

2- الإدريسي محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت-لبنان، عالم الكتب، 1409هـ، ط1.

3-الاصطخري إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة-مصر، د. ت. ط.

4-الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983م.

5-ابن حوقل محمد، صورة الأرض، دار صادر، بيروت-لبنان، 1938م.

6-مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، 1986م.

7-الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء-المملكة المغربية، د. ت. ط.

8-ابن سعيد علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1970م، ط1.

9-القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ببروت-لبنان، د. ت. ط.

10-القلقشندي أحمد بن علي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1407هـ/1987م، ط1.

11-ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1401ه/1981م، ط1.

-المراجع:

1-الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة-مصر، 1999م.

2-الزحيلي وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق-سوريا، د. ت. ط، ط4.

3-لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

3- بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية-الجزائر، 1985م.

4-روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10-12م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م، ط1.

5-شوقي الجمل وعبد الله إبراهيم، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1996م.

-المقالات:.

1-هواري موسى، التواصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي، *مجلة المفكر*، المجلد 05، العدد 01، 2021م، جامعة الجزائر، ص ص317_338.

2-زنيد خالد، 2002م، الإبل وأهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، *مجلة العلوم الإنسانية*، المجلد 13، العدد 02، ص ص177-192.

3-عطلي محمد، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*، العدد 06، 2017، ص ص243-264.

4-قريان عبد الجليل، 2017م، الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد 13، (ص ص365-398).

5-رموم خالد، توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المنوغرافيا المحلية والأجنبية، الحوار الفكري، المجلد 11، العدد 12، 2016، الجزائر، ص ص81-116.

6-خالدي مسعود، 2020، العلاقات التجارية بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي في العصر الوسيط، *مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية*، المجلد 06، العدد 03، ص ص42-60.

-الرسائل:

1-بن الذيب عيسى، 1429-1430هـ/2008-2009م، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/1056-1145م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 02، الجزائر.

2-مبخوت بودواية، 1426-1427هـ/2005-2006م، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بقايد، تلمسان-الجزائر.

النشاط الخارجي للثورة الجزائرية على مستوى هيئة الأمم المتحدة من خلال جريدة المجاهد

The external activity of the Algerian Revolution on the world level « Regarding the UNO » through AL Mujahid Newspaper.

الدكتور: أورنيدي طيب جامعة معسكر

البريد الالكتروني: tayeb.ournidi@univ-mascara.dz

ملخص:

نتناول في هذه الدراسة الأكاديمية، التطورات التي شهدتها القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة خلال الثورة التحريرية الكبرى بين سنوات 1955 – 1961، مبرزين في ذلك أسلوب عمل الجهاز الدبلوماسي القائم على التنسيق مع الكتلة الإفريقية الأسيوية، التي أوكلت لها مهمة الناطق باسم القضية الجزائرية منذ الدورة العاشرة (1955)، وإلى غاية الدورة السادسة

عشر (1962). معتمدين في ذلك على جريدة المجاهد كمصدر رئيسي للموضوع، بحيث قدمت لنا مادة إعلامية ثرية مكنتنا من فهم الكثير من الأحداث، والإجابة عن العديد من التساؤلات بخصوص هذا البحث.

الكلمات المفتاحية:

الجهاز الدبلوماسي، الثورة الجزائرية، جريدة المجاهد، هيئة الأمم المتحدة، تقرير المصير.

Keywords:

The diplomatic approach - Algerian Revolution - Al-Mujahid newspaper– United Nations Organization – Self determination

مقدمة:

يعد البحث في موضوع النشاط الخارجي للثورة الجزائرية من الموضوعات الهامة التي تستوقف الباحث، وتجعله يدرك الدّور الكبير الذي قام به قادتها للتعريف بالقضية الجزائرية وعدالتها داخل أروقة الأمم المتحدة، وفي الهيئات والمنظمات الإقليمية والقارية، ولدى الدول الشقيقة والصديقة، وحتى الدول الحليفة لفرنسا.

ونظرا لما لهذا النشاط من أهمية، فإنّ الطليعة الثورية قد أدركت منذ البداية أن العمل الداخلي سواء السياسي أو العسكري مهما بلغ نشاطه فلن يحقق الأهداف المرجوة. الاستقلال. إلا إذا كان مصحوبا بنشاط أخر على

المستوى الدولي، مما دفعها إلى وضع إستراتيجية قائمة على ازدواجيته، وهو ما نستشفه من بيان أول نوفمبر 1954 الذي جاء فيه: "إنّ جبهة التحرير الوطني لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد، وهما العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله".

وقد حاولت من خلال هذه الصفحات إبراز الجهود الحثيثة والجادة التي قام بها الجهاز الدبلوماسي للثورة في أكبر منظمة دولية وهي هيئة الأمم المتحدة، معتمدا على **"جريدة المجاهد"** (لسان حال جبهة التحرير الوطني) كمصدر رئيسي للبحث، كون الجريدة كانت تعد قلما بارزاً، ومنبراً إعلامياً متميزاً، ساهمت بشكل كبير في تتبع المسار الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني، وما قام به رجالاتها من مساعي في هذه المنظمة الدولية لأجل إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمالها، وذلك منذ الدورة العاشرة (سبتمبر 1955)، وصولا إلى المكاسب التي حققها في الدورات اللاحقة، والتي كان أبرزها اعتراف الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السادسة عشر (1961) بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

1- الدورة العاشرة

تم عرض القضية الجزائرية على أنظار هيئة الأمم المتحدة ولأول مرة في دورتها العاشرة المنعقدة شهر سبتمبر 1955، وبقيت تطرح كل سنة ولمدة سبع سنوات كاملة وذلك إلى غاية سنة1961 (بوعزيز، 2009، صفحة 268).

كما حرصت جريدة المجاهد على تتبع القضية الجزائرية بالأمم المتحدة، فدونت بالتفصيل الجهود التي بذلها الوفد الخارجي ووفود الدول العربية. وكانت البداية بتسجيلها لمذكرة قدمها مندوب المملكة العربية السعودية إلى مجلس الأمن في 5 جانفي 1955 . أي بعد شهرين من اندلاع الثورة . يدعو فيها الهيئة الأممية إلى النظر للوضع الخطيرة الذي يسود الجزائر، غير أن هذه الأخيرة أنهت دورتها دون أن تهتم بذلك (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

وتجدر الإشارة إلى أنّ فرنسا كانت آنذاك قد توصلت إلى اتفاق مع تونس ومنحتها استقلالا شبه داخلي، كما أبدت استعدادها للوصول إلى حل مرضي فيما يخص القضية المغربية، وهو ما جعل الوفود الدولية في هيئة الأمم المتحدة تعتقد أنها سوف تصل إلى الحل نفسه في الجزائر، لكنها غضّت الطرف عن ذلك وادعت أن القضية الجزائرية قضية داخلية، ولن تسمح لأي كان أن يتدخل فيها (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

كما ذكرت الجريدة في ذات السياق، أن الكتلة الإفريقية الآسيوية قدمت طلبا للأمم المتحدة بتاريخ 26 جويلية 1955 تدعو فيه الهيئة الأممية إلى

تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمالها للدورة المقبلة (الدورة العاشرة) (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

وتعزز هذا الطلب بمذكرة وجهها وفد جبهة التحرير الوطني إلى الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، حثهم فيها على القيام بخلق الشروط الضرورية لإيجاد تسوية سلمية للقضية الجزائرية استنادا إلى ميثاق الأمم المتحدة، خاصة جانبها المتعلق بحق تقرير المصير (فليس، السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية (1958- 1962) (مذكرة ماجستير)، 1985، صفحة ص 341.).

وبناء على ذلك، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في الفاتح من شهر أكتوبر 1955 تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمالها بأغلبية ثمانية وعشرون صوتا مؤيدا، مقابل سبعة وعشرون صوتا معارضا، الأمر الذي دفع بوزير الخارجية الفرنسي بيناي (Pinay) إلى الانسحاب من الجلسة، والامتناع عن المشاركة في مناقشة المسائل الأخرى، فتدخلت الهند بواسطة ممثلها السيد: "كريشنامينون" وقدمت عريضة للجمعية العامة تطلب فيها إلغاء القضية الجزائرية من جدول الأعمال، فوافقت الجمعية العامة على ذلك وأرجئت القضية الجزائرية إلى الدورة القادمة (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

وعلى أية حال، فإن النتيجة التي توصلت إليها القضية الجزائرية في هذه الدورة كانت مشجعة، حتى ولو لم تُعرض بصفة رسمية، لأنها كانت محل اهتمام وتأييد عدد كبير من الوفود الحاضرة، وهو ما يعد انتصارا للقضية

الجزائرية ودبلوماسيتها (ملاح، 2007، صفحة 291)، وحافزا إيجابيا لمواصلة المعركة في الدورات القادمة.

2- الدورة الحادية عشرة

وبانعقاد الدورة الحادية عشرة في الفاتح أكتوبر 1956، تقدم وفد من الكتلة الإفريقية الآسيوية مكون من خمسة عشر عضو بطلب ثاني إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، يلتمس فيه تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمالها مرة أخرى، وأرفق طلبه بمذكرة إيضاحية معبرا فيها عن استيائه من الوضع المأساوي الذي يعيشه الجزائريون بعد تصاعد أعمال العنف والقمع ضدهم، كما دعا الأمم المتحدة إلى ضرورة التدخل لوضع حد لذلك (سعيود، 2007، صفحة 130).

ومن جهته، قدم الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني برئاسة "أمحمد يزيد" مذكرة بتاريخ 12 نوفمبر 1956 إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، جاء فيها: " إن الوضعية في الجزائر لا يمكن فصلها عن المحيط العربي، والبحر المتوسط، ونحن نعرف أنّ منطق العنف الذي استعمله الحكومة الفرنسية في الجزائر مرتبط بالعدوان الذي تعرضت له مصر، لا يمكن أن تبقى صمّاء لمّا يتعلق الأمر باحتلال واستعمار عسكري آخر في الجزائر يستمر منذ سنتين" (Mammeri, 2010, p. 85).

ونتيجة لكل المساعي المبذولة، قام مكتب الجمعية العامة بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة يوم 15 نوفمبر 1956، لكنه لم يتم مناقشتها في تلك الدورة أيضا. وحسب جريدة المجاهد فإن فرنسا حاولت

أن تنسحب من الجلسة مرة أخرى، غير أنها غيّرت موقفها، بعد أن أدركت أن الأمم المتحدة ستناقش القضية سواء رضيت بذلك أم امتنعت، وأن انسحابها لن يفيدها في شيء (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

وتضيف الجريدة قائلة: "أن فرنسا بعد اعترافها بتدويل القضية الجزائرية، اقتصرت محاولاتها على إقناع الدول الحاضرة بضرورة الإدلاء بحكم غامض يجعلها في مأمن من الهزيمة الكبرى، ولقد جندت لذلك كبار شخصياتها السياسية للقيام بالدعاية في العالم، وعلى رأسهم وزير خارجيتها بيناي (Pinay) ووالها العام السابق بالجزائر جاك سوستال (Jacques Soustelle)، وبعض قدماء المحاربين" (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

غير أنّ جبهة التحرير الوطني قامت بالتصدي لتلك المناورات الفرنسية، فقدمت مذكرة بتاريخ 14 جانفي 1957، إلى رئيس اللجنة الأولى للدورة الحادية عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة نددت فيها بالدعم الخارجي للمجهود الحربي الفرنسي في الجزائر، كما نشرت البعثة الدبلوماسية الجزائرية في نيويورك مذكرة تفصيلية أكدت فيها أن الوجود الفرنسي في الجزائر غير شرعي ويستند إلى القوة، وأن الأمم المتحدة يجب أن تكون حكما لحل النزاع الجزائري الفرنسي (بورغدة، 2012، ، صفحة 119).

وبتاريخ 15 فيفري 1957، وبعد مناقشة استمرت أكثر من عشرة أيام صادقت الجمعية للأمم المتحدة بأغلبية سبعة وسبعون صوت على عريضة

تدعو من خلالها الطرفين إلى إيجاد حل سلمي وعادل وديمقراطي للمشكل الجزائري جاء فيها: "إن الجمعية العامة بعد سماعها إلى تصريحات الوفود المختلفة، ومناقشة القضية الجزائرية، تعتبر أولا أن الحالة في الجزائر تسبب كثيرا من الآلام والخسائر في الأرواح البشرية، وتعبر عن أملها في إيجاد حل سلمي وديمقراطي عادل مطابق لروح التعاون بالوسائل المناسبة، ووفقا لمبادئ ميثاق هيئة الأمم" (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

وقد علقت المجاهد على هذه العريضة بالقول أن القضية الجزائرية أصبحت قضية عالمية، وليست شأن داخلي كما تدعي فرنسا، ثم إن مناقشتها في هيئة الأمم المتحدة لمدة عشرة أيام، واعتبارها من طرف أغلب الوفود قضية تهدد الأمن العالمي بسبب الحرب القائمة يعتبر اعترافا بوجود طرفين متحاربين، أي أمتين مختلفتين، وهذا ما يُحطّم الادعاء الفرنسي أن "الجزائر قطعة فرنسية" (المجاهد، تطور القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة، 1957).

غير أنّ الطرف الفرنسي، وفي محاولة منه لتضليل الرأي العام العالمي طالب خلال هذه الدورة بمنحه فرصة أخرى لإيجاد تسوية للقضية الجزائرية، وهو ما جعل بعض مندوبي الدول يعتقدون أن فرنسا ستجد حلا للمشكلة في أقرب وقت. لكن الذي حصل هو أن القوات الفرنسية صعّدت في وتيرة العنف والإرهاب عام 1957 بشكل مهول، وانتشرت أخبار التعذيب في المحتشدات والسجون ومراكز الاعتقالات الجماعية بشكل فضيع جدا (بوعزيز، 2009، صفحة 268).

واستطاعت جريدة المجاهد وقتها أن تعكس صورة دقيقة وشاملة لأساليب القمع والتعذيب التي سلطت على الجزائريين في مقال مطول تحت عنوان **(التعذيب الفرنسي في الجزائر فنونه وأساليبه الوحشية)** جاء فيه:" تواصل الدولة الفرنسية الغربية المسيحية في أرض الجزائر حملة من الجرائم ضد الإنسانية ملأت شدتها ووحشيتها شعوب العالم فزعا واشمئزازا، ويسجل الجنود والمدنيون الفرنسيون كل يوم بما يميزهم من انحطاط خلقي وأدبي صفحات هي أدهى وأمر مما شهده تاريخ هذا القرن العشرين، وسيدين المستقبل بلا هوادة الأمة الفرنسية المستهترة التي تعتقد أنها ستزداد قوتها المفقودة بقطع رؤوس الأبرياء ومضاعفة أساليب التعذيب، كما سيتساءل المستقبل بحق عن الأسباب التي أوحت للدول الأخرى هذا السكوت الآثم عما تفعله فرنسا" (المجاهد، التعذيب الفرنسي في الجزائر فنونه وأساليبه الوحشية، 1957).

ومهما يكن من أمر، فإن الأفعال الشنيعة المرتكبة في حق الجزائريين لم تثن من عزيمة جبهة التحرير وجهازها الدبلوماسي الذي عرف كيف يُحرك الدول الشقيقة لصالح القضية الجزائرية، خاصة تونس والمغرب اللتان عرضتا وساطتهما على الطرفين لإيجاد حل للقضية الجزائرية، فقد أوردت جريدة المجاهد في إحدى صفحاتها مشروع الوساطة الذي عرضته الحكومتان التونسية والمغربية على الطرفين الفرنسي والجزائري بهدف إيجاد حل عادل يُمَكّن الشعب الجزائري من استرجاع سيادته واستقلاله وفقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، لكن الحكومة الفرنسية رفضت الحل السياسي الذي تضمنه

العرض وهو "التفاوض مع جبهة التحرير لتجسيد السيادة الوطنية" (وساطة تونس والمغرب، 1957).

وحسب جريدة المجاهد دائما فإن جبهة التحرير الوطني أصدرت بلاغا بتاريخ 22 نوفمبر 1957 أشادت فيه بجهود رئيسي الدولتين الشقيقتين من أجل وضع حد للحرب في الجزائر، وأعربت من خلاله عن ارتياحها لعرض الوساطة. كما أكدت فيه أن المفاوضات لا يجب أن تفتح إلا لمناقشة فكرة واحدة وهي الاستقلال (المجاهد، عرض الوساطة التونسية المغربية، 1957).

3- الدورة الثانية عشرة:

صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثانية عشرة، المنعقدة في الفترة الممتدة مابين 07 سبتمبر إلى 14 ديسمبر 1957 على لائحة بالإجماع . باستثناء صوتين (فرنسا وجنوب إفريقيا). تنص على قبول عرض الوساطة التونسية المغربية، وتطالب بحل القضية الجزائرية على أساس مبادئ ميثاق الأمم المتحدة (المجاهد، مسؤولية الأمم المتحدة في قضية الجزائر، 1957).

وقد سلطت جريدة المجاهد الضّوء على ذلك في مقال لها بعنوان:" سياسة فرنسا تنهزم في الأمم المتحدة رغم حلفائها"، تقول فيه: إن الجمعية العامة بعد أن درست القضية الجزائرية ذّكرت بقرارها السابق في 15 فيفري 1957 وهي بذلك:

1. تُعبر عن قلقلها لتطورات الوضع بالجزائر

2. تُسجل عرض الوساطة التي تقدم بها كل من فخامة رئيس الجمهورية التونسية، وجلالة الملك المغربي.
3. تُعبر عن أملها في أن تبدأ محادثة في الحال، وأن تستخدم الوسائل الأخرى الودية الكفيلة بإيجاد حل يطابق أهداف ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها (المجاهد، سياسة فرنسا تنهزم في الأمم المتحدة رغم حلفائها، 1957).

لكن يجب علينا القول، أن الأمم المتحدة خلال هذه الدورة رغم أنها ووضعت حدا للادعاءات الفرنسية حول المشكلة الجزائرية التي كانت تعتبرها داخلية وهي من اختصاصاتها لوحدها، إلا أنها لم تقم بواجبها كاملا تجاه القضية الجزائرية فهي . مرة أخرى . اكتفت بتأكيد مبادئها المنصوص عليها في ميثاقها . مبدأ تقرير المصير . لكنها أحجمت عن تحمل مسؤولياتها الكاملة في إدانة السياسة الاستعمارية المتوحشة والمنتهجة في حق الجزائريين (المجاهد، مسؤولية الأمم المتحدة في قضية الجزائر، 1957).

وبقي الوضع على حاله إلى غاية انعقاد الدورة الثالثة عشرة التي تزامنت مع ميلاد الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر 1958، وحسب جريدة المجاهد فإن أول عمل قامت هذه الحكومة هو التمهيد لهذه الدورة بتوجيه مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة "داغ هامر شولد" قدمها له وزير الأخبار أمحمد يزيد، تضمنت العناصر التالية:

1. التذكير بقرار الدورة السابقة للأمم المتحدة، والإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية لم تلتزم بتطبيقه.
2. تأكيد على رغبة الحكومة الجزائرية المؤقتة في التفاوض مع فرنسا، لكنها لم تجد تجاوبا يذكر من باريس.

3. مطالبة الأمين العام بالتدخل لحمل فرنسا على التفاوض، ووقف عدوانها الاستعماري على الشعب الجزائري (المجاهد، مذكرة إلى الأمم المتحدة، 1958).

ومن جهتها قامت أربعة وعشرون دولة إفريقية وآسيوية بتقديم طلب إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 16 جويلية 1958 تدعوها فيه لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الثالثة عشر، وأرفق الطلب بمذكرة توضيحية عن الحالة المأساوية في الجزائر جاء فيها: "إن الحرب ظلت مستمرة في الجزائر بدون هوادة متسببة في زيادة الآلام والخسائر في الأرواح البشرية وليس هناك أي بادرة لوجود حل يتفق مع مبادئ وأهداف وميثاق الأمم المتحدة، بل هناك علائم تثير القلق، ظهرت في الأشهر الأخيرة تدل على أن الوضعية قد ازدادت خطورة لأن الحوادث قد اجتازت نطاق الحدود الجزائرية" (المجاهد، مراحل المناقشة من اللجنة السياسية إلى الجمعية العامة، 1958).

4- الدورة الثالثة عشرة:

بطلب من اللّجنة الإفريقية الأسيوية قامت اللّجنة السياسية للجمعية العامة يوم 22 سبتمبر 1958 بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الثالثة عشرة، وهذا رغم موقف الوفد الفرنسي السلبي، الذي سبق وأعلن بأنه لن يساهم في مناقشة القضية الجزائرية في هذه الدورة، ولا في التصويت عليها، ثم إن هذا الوفد كان بالإضافة إلى ذلك يقوم بالتواصل مع أعضاء ووفود الدول الأخرى، خاصة وفود أمريكا اللاتينية للضغط على الأمم

المتحدة لسحب القضية الجزائرية (المجاهد، مراحل المناقشة من اللجنة السياسية إلى الجمعية العامة، 1958).

غير أن تحركاته باءت بالفشل، فقد كتبت جريدة المجاهد عبر صفحاتها أن جميع المناورات وأعمال الضغط التي قام بها الطرف الفرنسي لم تأتي بأي ثمار وطرحت القضية الجزائرية فعلا أمام الجنة السياسية، وتمت مناقشتها طيلة أسبوع كامل من الثامن إلى الثامن عشر ديسمبر 1958 (المجاهد، مراحل المناقشة من اللجنة السياسية إلى الجمعية العامة، 1958).

استطاع الوفد الجزائري خلالها أن يحقق مكاسب سياسية هامة ذكرتها جريدة المجاهد في صفحاتها بعنوان "لائحة الجمعية العامة" جاء فيها:" إن الجمعية العامة بعد دراستها للقضية الجزائرية تُذكَّر بلائحتها رقم 1012 (الدورة الحادية عشر) المؤرخة في 15 فيفري 1957 والتي عبرت فيها عن أملها في إيجاد حل سلمي ديمقراطي وعادل للقضية الجزائرية بالوسائل اللائقة المتمشية مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

وتُذكَّر كذلك بلائحتها رقم 1184 (الدورة الثانية عشر) المؤرخة في 10 ديسمبر 1957 التي عبرت فيها عن رغبتها في بدء مفاوضات بين الطرفين والأخذ بالأسباب اللائقة لإيجاد حل للمشكلة الجزائرية تبعا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

وتعترف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال.

وتعلن عن قلقها العميق من جراء تواصل الحرب بالقطر الجزائري.

وتعتبر أن الوضع الحالي بالجزائر يكون تهديدا للسلم والأمن العالميين.

وتوصي بإلحاح في بدأ مفاوضات بين الطرفين قصد الوصول إلى حل يتماشى مع ميثاق الأمم المتحدة (المجاهد، لائحة الجمعية العامة، 1958).

هللت الحكومة الجزائرية المؤقتة بالنتائج المتوصل إليها في هذه الدورة، خاصة وأنها تمكنت من بلوغ كل الأهداف التي خططت لها من قبل باتفاق مع الوفود العربية والإفريقية والأسيوية، والتي كشفت عنها جريدة المجاهد في افتتاحية لها بعنوان:" شيء جديد في الأمم المتحدة"، وهي على النحو التالي:

- اعتراف هيئة الأمم المتحدة ضمنيا بالحكومة الجزائرية المؤقتة.
- الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال.
- امتناع عدة دول أعضاء في الحلف الأطلسي وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية عن التصويت والتزامهم بالحياد، واستنكارهم لسياسة حليفتهم فرنسا (المجاهد، شيء جديد في الأمم المتحدة، 1958).

ومما سبق يتضح أنّ القضية الجزائرية حققت انتصارا دبلوماسيا كبيرا في هذه الدورة، خاصة بعد اعتراف الأمم المتحدة بشرعية نضالها، وتصويت الأغلبية الساحقة من الوفود الحاضرة لصالحها، كما عرفت التزام بعض حلفاء فرنسا الطبيعيين بالحياد وامتناعهم عن التصويت لها.

وفضلا عن ذلك، فقد شهدت الأشهر التي تلت هذه الدورة عملا دبلوماسيا كثيفا قامت به الحكومة المؤقتة والكتلة الإفريقية الأسيوية، تحضيرا واستعدادا لخوض معركة الدورة الرابعة عشرة المنتظرة، ومن أجل ذلك تولّت

خمسة وعشرون دولة من المجموعة الإفريقية والأسيوية مهمة تقديم طلب تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الرابعة عشرة، وذلك بتاريخ 14 جويلية 1959 (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016، صفحة 82).

5- الدورة الرابعة عشرة:

تزامن انعقاد هذه الدورة مع معطيات وظروف جديدة طرأت على الساحة السياسية والعسكرية، أبرزها إعلان ديغول يوم 16 سبتمبر 1959 عن مشروع تقرير المصير والذي قال فيه:" بأن الوقت قد حان لإعطاء الفرصة للجزائريين لكي يعبروا بأنفسهم عن مستقبلهم ويقرروا مصيرهم..." (Philipe, 1972, p. 173).

وقد تضمن هذا المشروع البنود التالية:

1. أن يتوقف القتال فورا.
2. أن يتوفر السلام لمدة أربع سنوات، وتقطع هذه المدة إذا ما بلغ مجموع ضحايا الاشتباكات بين الجزائريين والفرنسيين من مدنيين وعسكريين أكثر من مائتي قتيل في العام، وأن يجرى في ختام السنوات الأربعة استفتاء الشعب الجزائر حول اختيار مصيرهم من ثلاثة: الانفصال أو الاندماج والفرنسة الكاملة أو الحكم الذاتي في ظل الاتحاد الفرنسي (لحسن، 2009، صفحة 218).

وحسب جريدة المجاهد، فإن الحكومة الجزائرية المؤقتة وافقت مبدئيا على نص المشروع، واعتبرته خطوة هامة لإيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية

إذا توفرت الشروط الضرورية لذلك، حيث أصدرت بيانا في 28 سبتمبر 1959 جاء فيه:"... لأجل هذا الغرض فإن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مستعدة للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية، لبحث الشروط السياسية والعسكرية لإيقاف القتال، وبحث شروط وضمانات تطبيق حق تقرير المصير" (المجاهد، النص الكامل لبيان 28 سبتمبر 1959، وتعاليق العالم عليه، 1959).

في 20 نوفمبر 1959 عينت الحكومة الجزائرية وفدا يتكون من أحمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، ومحمد خيضر، رابط بيطاط لإجراء مباحثات مع الحكومة الفرنسية حول شروط وضمانات تطبيق مشروع تقرير المصير (المجاهد، الدهشة المصطنعة، 1959)، لكن الجنرال ديغول رفض التفاوض معهم، لأنهم حسب نظره " خارجون عن القانون" (المجاهد، الخوف من تقرير المصير، 1960).

وفي ظل هذه الأحداث والتطورات شرعت اللجنة السياسية في 30 نوفمبر 1959 بمناقشة القضية الجزائرية (المجاهد، في الأمم المتحدة معسكر الحرية ومعسكر الاستعمار وجها لوجه، 1959)، وهي منكبة في مناقشتها، فإذا باثنتين وعشرين دولة من الكتلة الإفريقية الأسيوية تقدم لها مشروع قرار بتاريخ 03 ديسمبر 1959 يتضمن، اعترافها بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ويدعوا طرفي النزاع للدخول فورا في المفاوضات للتباحث حول الشروط اللازمة لتنفيذه، وكذا وقف إطلاق النار. كما يشير المشروع كذلك إلى رغبة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في تولي المفاوضات باسم الشعب الجزائري الثائر من أجل حريته المسلوبة واستقلاله، وعندما عرض المشروع على التصويت،

لم ينل أغلبية الثلثين المطلوبة حيث تحصل على 38 صوتا ضد 26 صوتا وامتناع 17 دولة عن التصويت (المجاهد، تفصيل الاقتراع في اللجنة السياسية، 1959)، بسبب امتناع ثمان دول كانت تصوت لصالح القضية الجزائرية في الدورات السابقة (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016، صفحة 83).

وخوفا من إفلات القضية من أيدي دول الكتلة الإفريقية الأسيوية، تقدمت باكستان إلى الجمعية العامة بمشروع قرار معدل يوم 12 ديسمبر 1958، وعند عرض المشروع على التصويت لم يحض بدوره على أغلبية الثلثين المطلوبة، حتى يكتسب صبغة التوصية من الجمعية العامة (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016، الصفحات 83-84)، بعد أن صوتت لصالحه 39 دولة ضد 22 دولة وامتناع 20 دولة عن التصويت (المجاهد، لائحة الجمعية العامة، 1959).

ونتيجة ذلك، أصدر الوفد الخارجي الجزائري بيانا، حمّل فيه الدول الغربية الحليفة لفرنسا مسؤولية ما حصل أثناء الاقتراع، بعدما وقفت بكل شدة في وجه المصادقة على لوائح المشروع المعدل، كما أكد الوفد في بيانه أنّ الضغط لن يزيد الثورة إلاّ قوة وصمودا في مواصلة القتال، والذي لن يتوقف إلا باتفاق بين الطرفين بشأن شروط وضمانات حق تقرير المصير للشعب الجزائري (المجاهد، بلاغ بعد نهاية المناقشة، 1959).

6- الدورة الخامسة عشرة:

مع اقتراب موعد الدورة الخامسة عشرة، وبتاريخ 20 جويلية 1960 تقدمت من جديد 25 دولة من الكتلة الإفريقية والأسيوية بطلب إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمالها (المجاهد، الرئيس عباس يذكر دول المجموعة بواجبها نحو الجزائر، 1960).

وتزامنا مع ذلك، قامت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ببعث رسائل إلى حكومات دول المجموعة الإفريقية والأسيوية، تلفت فيها انتباههم إلى خطوة الوضع في الجزائر، وإلى الأهمية التي تعلقها الحكومة الجزائرية والشعب الجزائري على موقف هذه الدول في هيئة الأمم المتحدة (المجاهد، الرئيس عباس يذكر دول المجموعة بواجبها نحو الجزائر، 1960).

وللإشارة فإن هذه الدورة كانت مميزة عن سابقاتها من حيث القرارات والحضور، فقد حضرها زعماء الكتلة الإفريقية والأسيوية (عباس، 2007، صفحة 616) إلى جانب الرئيس السوفياتي خروتشوف الذي أعلن بصريح العبارة عن اعترافه بالحكومة المؤقتة على هامش الاجتماع الذي جمعه بوزير خارجيتها كريم بلقاسم في 02 أكتوبر 1960 والذي قال فيه:" اجتماعي بوفد الحكومة الجزائرية المؤقتة دليل على وجودها الحقيقي، إنها أمر واقع، ومجيء وفدها إلى أمريكا أمر واقع..." (المجاهد، المجاهد في معابر الأمم المتحدة (تصريح خروتشوف في نيويورك)، 1960)

وفي تصريح آخر له نشرته جريدة المجاهد على صفحاتها يوم 10 أكتوبر 1960 قال فيه: "استقبالي لأعضاء الحكومة الجزائرية المؤقتة يعد اعترافا بهذه

الحكومة من طرف الاتحاد السوفياتي" (المجاهد، المجاهد في معابر الأمم المتحدة (تصريح خروتشوف في نيويورك)، 1960).

إن الموقف المعلن من طرف رئيس الاتحاد السوفياتي، جعل الحكومة المؤقتة تعلق أمالا كبيرة على الأمم المتحدة في الدورة الخامسة عشرة لتجسيد ثلاثة أمور هي:

1. أن تعبر عن إرادة المجموعة الدولية في وضع حد للحرب في الجزائر وفي أقرب وقت.
2. أن تتحول من موقف الترقب والانتظار، إلى موقف يؤهلها تفرض فيه حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.
3. أن تأخذ بعين الاعتبار طلب الحكومة المؤقتة بتنظيم عملية الاستفتاء ومراقبه (Mammeri, 2010).

وبناء على ذلك، تقدمت 24 دولة من الكتلة الإفريقية الآسيوية بمشروع قرار، نصت فقرته الرابعة على ضرورة إشراف هيئة الأمم المتحدة على عملية الاستفتاء من أجل تطبيق حق تقرير المصير، إلا أن المشروع لم يحصل على أغلبية الثلثين عند عرضه للتصويت أمام اللجنة السياسية، (وافقت عليه 38 دولة، ورفضته 33 دولة، وامتنعت 23 دولة)، الأمر الذي استوجب إدخال بعض التعديلات على نصه نزولا عند رغبة بعض الوفود (ليتيم، 2016، صفحة 642)، فاستهدف التعديل حذف الفقرة المتعلقة "بإجراء الاستفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة"، وتم استبدالها بفقرة أخرى جاءت كالأتي:" تُتابع الأمم المتحدة وتراقب استفتاء تقرير المصير، وأن الشعب الجزائري هو الذي

سيحدد مصير بلده" (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016).

وحسب جريدة المجاهد فإن التعديل مكّن المجموعة الإفريقية الأسيوية من كسب المزيد من الأصوات لصالحها، وبعد عرضه للتصويت على الجمعية العامة حصل المشروع على أغلبية الأصوات بـ: (63 صوت، ضد 27، وامتناع 8 أصوات فقط)، وبهذه النتيجة أصبحت الأمم المتحدة تعترف رسميا بحق الشعب الجزائري في الاستقلال، وهو ما يعد نصرا كبيرا للثورة الجزائرية (المجاهد، ماذا كسبنا من الأمم المتحدة، 1961).

كما تذكر المجاهد أن وزير الخارجية للحكومة الجزائرية المؤقتة، ورئيس الوفد الجزائري لدى الأمم المتحدة السيد كريم بلقاسم، وفي تصريح رسمي له رحب بهذا القرار، وشكر كل البلدان التي ساندت كفاح الشعب الجزائري من أجل استقلاله، وختم قوله "بأن تصويت الأمم المتحدة يعد أقوى تعبير عن رفض الرأي العالمي للنظام الممنوح الذي يريد الجنرال ديغول رفضه..." (المجاهد، تصريح رسمي للوفد الجزائري لدى الأمم المتحدة، 1961).

7- الدورة السادسة عشرة:

بحلول سنة 1961 دخلت القضية الجزائرية مرحلتها الحاسمة، خاصة بعد قبول فرنسا بالتفاوض مع الحكومة الجزائرية المؤقتة حول سبل تقرير المصير وتحقيق الاستقلال، وحصلت بين الطرفين لقاءات في مولان، وإيفيان الأولى، ولوغران. وتعززت هذه الجهود بعرض مشروع لائحة، تقدمت بها ثلاثة وأربعون دولة من الكتلة الإفريقية والأسيوية إلى اللجنة السياسية في الدورة

السادسة عشرة للجمعية العامة، التي باشرت مناقشتها يوم 14 ديسمبر 1961، وصادقت عليه بعد يومين من المناقشات (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016). وكانت اللائحة قد نصت على:" إن ممثلي الدول الإفريقية الأسيوية بعد أن عبّروا عن أسفهم العميق أمام استمرار الحرب في الجزائر، وبعد أن لاحظوا عزم الطرفين المعنيين بالأمر على البحث عن حل تفاوضي سلمي على قاعدة حق الشعب الجزائري في تقرير المصير وفي الاستقلال، تتأسف عن توقيف المفاوضات التي تم الشروع فيها بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وتدعوا الطرفين لاستئناف التفاوض من أجل تطبيق حق الشعب الجزائري في تقرير المصير وفي الاستقلال، وذلك في نطاق واحترام وحدة وسلامة الوطن الجزائري" (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016).

ولدى عرض مشروع اللائحة على التصويت يوم 20 ديسمبر 1961 أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السادسة عشرة، حصل 62 صوتا لصالح المشروع، مقابل لاشيء، فيما امتنع 38 عن التصويت (القادر، القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955 – 1961، 2016).

الخاتمة:

يتضح مما سبق، أنّ القضية الجزائرية في الأمم المتحدة كانت محور من المحاور الهامة بالنسبة للجريدة حيث استطاعت تغطية كل الدورات التي طرحت فيها، مسجلة أدق التفاصيل عنها، منذ تسجيلها أول مرة في جدول أعمالها خلال الدورة العاشرة (سبتمبر 1955)، ومُبينة في الوقت ذاته أسلوب

عمل الوفد الخارجي داخل الهيئة، والقائم على التنسيق مع الكتلة الإفريقية الأسيوية، التي أوكلت لها مهمة التحدث باسم الجزائر خلال كل دورة ، وهو ما مكنها من إيصال القضية الجزائرية إلى الدورة السادسة عشر التي اعترفت فيها الهيئة الأممية بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

إستراتيجية استغلال الماء في أنظمة البستنة والمتنزهات في المغرب الأوسط بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10–14م).

The Strategy of Exploiting Water in Horticulture and Parks in mid Maghreb between The 4th and the 8th AH/ 10th and 14th AD.

د. البشير بوقاعدة.

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.

ملخص :

يتوخى صاحب هذه الورقة البحثية معالجة اشكالية استراتيجية استغلال الماء في سقي البساتين ببلاد المغرب الأوسط في الحقبة الزمنية الممتدة بين القرنين الرابع الهجري (10م) والثامن الهجري (14م)؛ من حيث أنظمة السقي، وأوقاته، وطرائقه، وطبيعة المشاكل التي تعترض سبيل ذلك، وكذا سبل بالموازنة بين فرص الحصول على الماء وتوفيره وبين حسن استثماره واستغلاله، مع التركيز على ما تعلّق باستثماره في سقي المساحات الخضراء؛ تلك المخصّصة للترفيه والاستجمام كالحدائق والمتنزهات. كما يضطلع الشق الثاني بدراسة أنماط استغلال هذه المادة الحيوية (الماء) في الجانب الجمالي التزييني، سواء تزيين الحدائق والمتنزهات بالقصور وفي الساحات العامة خلال الفترة الخاضعة للدرس، وذلك في مسعى منا للكشف عن مظاهر الاستغلال، وطرائقه، وفنونه وأنماطه، ومعاينة مستويات الاهتمام الذي حظي به هذا النمط التزييني من طرف السلطة القائمة آنذاك، ومدى عناية المشرفين عليها بتوظيف الثروة المائية في المسعى التجميلي، ناهيك عن تحسّس مستويات الحس الفني والذوق الجمالي الذي تحلّوا به، واصطبغت به أنماط العمارة المزيّنة بنافورات الماء ومجاريها وقنواتها، بالإضافة إلى الوقوف بالدرس على اللمسات الجمالية التي تركها الفنانون في مجال البناء والتشييد والتزيين بواسطة الماء وعن طريقه، وكذا هويتهم ومصدر اللون الفني المتبع.

الكلمات المفتاحية: الماء، الحدائق، المتنزهات، البساتين، النافورات.

Abstract:

This research paper seeks to adress the issue that is basically concerned with the study of the strategy by which water was well used to irrigate gardens in the mid Maghreb country in the era between 4th and 8th AH/ 10th and 14th AD. The paper is also concerned with horticulture, its timeline, its manners and the troubles that went against the way it works. In addition to offering equal opportunities of

getting or providing water, as well as utilizing it in a good way.

The second part of this research is concerned with studying the ways of exploiting water in decorating and beautifying gardens and parks that surround the palaces and the public spaces as well of the era under study. We looks forward to show the nature of exploitation, its manners, its technics, its types and the levels of interest that is devoted to that sort of decoration by the Magrebian authorities of that time, and how they contrebute in using the water resources for the sake of decorating, let alone artistic levels and aesthetic appreciation of those who were responsible for that. And how it appears in their architectural styles with water fountains flowing in streams and chanals. In addition to that we study the elegant touches that is left by artists in the field of building, constructing and decorating by means of water. We also deal with their identity and the source of the pursued artistic type.

Keywords: Water, Garden, Parks, Orchards, Fountains.

مقدمة:

يعدّ الماء عصبا هاما في حياة الإنسان، ومقوما رئيسا من مقومات الأنشطة الاقتصادية وفاعلا حيويا في استمرارية البنى الاجتماعية. ومع توسّع مجالات استخدام الانسان للماء في مناحي حياته المتشعّبة وتنامي مفاعل الحركة الفكرية والثقافية، اهتدى العقل البشري إلى توظيفه لتحقيق مآربه الترفيهية، وأنشطته التزيينية، بما يتناغم وذوقه الجمالي، ولمساته الفنية، وتطلعاته الاستمتاعية.

فبالإضافة إلى استغلال الإنسان المغرب أوسطي في الفترة مدار الدرس للماء في نظام البستنة وتدبير أموره الفلاحية، استغله أيضا في تلبية حاجاته الفنية في مجال البناء وعمارة البيئة، وكل ما يتناغم وتطلعاته الفنية وغايته الترفيهية ومساعيه الاستجمامية؛ فقد شهد خلال فترات الرخاء التي طبعت واقعه الاقتصادي وعهود

الأمن والاستقرار التي اصطبغ بها مشهده السياسي والحركية الفكرية والعلمية التي ازدانت بها الساحة الثقافية المغربية، توسّع حدود دائرة الذوق الفني لدى القائمين على السياسة العمرانية؛ حيث أضفوا طابعا فنيا على النسيج العمراني، ودعّموا أركانه ببنايات فنية متنوعة ضمن عمارة الحدائق والمتنزهات، وأحسنوا دمج الطبيعة في المخطط العمراني لملامسة الغاية الترفيهية وأداء الوظيفة الجمالية الصحية.

ولقد تنامى هذا الحس الفني اندماجا مع طبيعة المؤثرات الخارجية الوافدة من الشرق والغرب الاسلامي، سيما الفن الأندلسي على مدار فترات الحكم الحمادي والموحدي والزياني، وذلك من خلال الاستفادة من خبرات البنائين والمهندسين المغاربة والأندلسيين الأكفاء وعلماء المعمار في تطوير خصائص عمارة الترف وبناءات التزيين، وابتكارهم لأساليب فنية راقية فيما تعلّق بطبيعة مادة البناء والتزيين والزخرفة، وأنماط التفصيل والتخطيط، وفنون استثمار الماء في هذا النمط العمراني الذي ارتكز موطنه بشكل أساس في حدائق القصور والبيوت والمساجد والساحات العامة.

ولئن كانت العمارة الحدائقية والمساحات الخضراء الترفيهية–الاستجمامية قد تنوعّت من حيث طبيعة التخطيط والتصميم والتنسيق، والشكل الجمالي الطبيعي والهندسي، والمكونات الحيوانية والنباتية والمائية، فإنّ الإشكالية الرئيسة التي تروم معالجتها هذه الورقة البحثية ترتكز بشكل أساس حول دراسة المكونين النباتي والمائي في نمط الحديقة المغرب أوسطية ومتنزهاته العامة والخاصة؛ من حيث آليات استثمار الماء كمكون ومقوم أساسي في الهندسة والشكل أو كمادة حيوية للسقي وحياه الغطاء الأخضر الذي يُزيّنها ويكسوها.

1– استخدام التقنية تلبية لحاجات النفس الترفية، منشآت المعمار المائي الكمالي أنموذجا:

يحاول صاحب هذه الدراسة في متن هذه المحطة من البحث إبراز مظاهر التقنيات المستخدمة في استثمار الماء في مجال العمارة الترفيهية التزيينية كالحدائق والمتنزهات. فلا يعترينا الشكّ قيد أنملة، أنّ المكانة التي يحتلها الماء في المخيال الجمعي سلطوي أو شعبي حول أهميته في أنظمة البستة والتزيين، راقية وجليلة القدر، ومن ثمّ استلزم العناية الكبيرة به من حيث أساليب الحفظ وطرق الجلب والنقل وآليات الاستغلال ومواجهة التقلبات الجوية والاضطرابات المناخية، قصد تحصيل الغاية الترفيهية واضفاء المسحة الجمالية على مكونات العمارة المغربية. ولعلّه نظير الأهمية التي ينطوي عليها الماء في التاريخ المغربي خلال العصر الوسيط، قيل: إنّ الماء هو أحد مفاتيح تفسير تاريخ المغرب الاسلامي أواخر العصور الوسطى جنبا إلى جنب مع الدين والعصبية التي نظّر لها المؤرخ ابن خلدون. كما اعتبر الماء مشكلة المغرب الاقتصادية الأولى والأساس نظير تشابك القضايا والإزم التي طُرِحت في الفترة الوسيطية[1].

الباحثة "بودالية" التي أولت اهتماما بهذا الشأن البحثي، ترى بأنّ العنصر المائي في مكونات العمارة الترفيهية والعناية بالمساحات الخضراء وأنظمة البستنة وإقامة الجنات والرياض، يعدّ أحد المؤشرات البيئية التي تساهم في تخصيب أرضية الراحة، وإتاحة الظرف البيئي؛ ذلك أنّ مكانته جدّ معتبرة في توفير مقومات الراحة الحرارية ذات الصلة بالمحيط من خلال زيادة نسبة الرطوبة في الفراغ العمراني[2]. وعَدّ "وزيري يحي" استخدامه في الحديقة الاسلامية أمرا ضروريا، حيث كشف عن جوانب من استخداماته في هذا الغرض، والتي تأرجحت بين استخدامه على شكل مسطحات مائية مظللة بالأشجار، أو على شكل نوافير تساعد على تحريك سطح الماء، أو قنوات مائية[3]. وأضافت الباحثة "سيات خيرة" أن بلاد المغرب الاسلامي عرفت عدة منشآت عمرانية باستخدام الماء، كالنوافير التي يرومون اضفاء صورة جمالية من وحي الطبيعة تسر الناظر إليها، حتى أنّه لا يكاد يخلو قصر من قصور

المنطقة أو مسجد من مساجدها أو بيت من بيوتها من نافورات للماء أو أحواض له[4].

ثمّ إنّه ومع تنامي الحركية العلمية التي يقودها علماء الهندسة والفلاحة والجغرافية، وفي ظل الانتعاش الاقتصادي الذي يرافق تلك الحركية ويستفيد من مردودها، تتضاعف انعكاسات ذلك الإيجابية على الحياة المجتمعية، وتُفضي إلى استبدال الواقع الحياتي السائد بنمط يقوم على مستوى أعلى من الرفاهية في العيش؛ يبعث على ملامسة الراحة في المسار الحياتي، باعتماد التقنية في تدبير الأمور الاجتماعية وتسيير الأنشطة الاقتصادية، وإعمال الفكر في تخصيب الأرضية أمامه بما يُوفّر جو المتعة ويُعين على تحقيق الرفاهية، ويُلبّي حاجة الروح الجمالية، ويُغذي المسامات التي تستعذب بواسطته جماليات الحياة ويستطيب ما يُهدأ الوجدان، ويطرد مظاهر التنغيص على النفس ويستجلب ما يُريحها.

ومن المواد الطبيعية التي أحسن العقل البشري استغلالها في سبيل تحقيق رفاهيته، وترجمة ذوقه الجمالي، والتعبير عن خوالج أحاسيسه ومكنون رغباته، وتطلعاته الترفيهية، بفضل ابتكاراته الفنية وإبداعاته في مجال التقنية، هي مادة الماء. حيث ابتكر أساليب وتقنيات عالية الدقة لاستثمار هذا المورد الحيوي الهام، من أجل استغلاله استغلالا أمثلا، وتوظيفه توظيفا محكما، سواء فيما تعلّق باستخراجه، أو نقله، أو استثماره كمادة تجميلية ترفيهية تزيينية، وفق هندسة ابتكارية ابداعية، تفصح عن مكنون الذوق الجمالي الرفيع، والرؤية الفنية التي يتبنّاها.

وحتى يتسنى استثمار هذه المادة بشكل فاعل ومحكم ودائم، كُثِّفت الجهود التقنية ومشاريع لتجميع مياهه وتحصينها في منشآت التخزين المائي ومحلات تجميع متلونة، سواء من مياه الأمطار أو الأنهار والأودية، وذلك في صهاريج[5] ومواجل[6]، وفي الخزانات التي دُعِّمت بها البيوت والقصور والمساجد. وانطلاقا من مراكز التجميع المائي يتم تزويد المدن وتموينها عبر قنوات وسواقي

ومجاري مشيّدة تشييدا محكما، وفق نمط توزيعي ينسجم وحاجاتها منه، ويتناغم وطبيعة المنشآت الفنية التي تحتويها من بساتين وأجنة وحدائق ومتنزهات. وهو ما نجد صداه في المنشآت التي تتضمّنها مدينة أشير والقلعة وبجاية الحمادية ووهران وتلمسان الزيانية ونحوها من مدن المغرب الأوسط. فقد وُصلت وهران بقنوات مائية على شاكلة سراديب تحت الثرى، وكشفت الحفريات عن وجود شبكة من القنوات المائية تربط المدينة بمنشآتها، كما وُصِلت تلمسان من عدّة جهاتها بقنوات تموّن منشآتها الفنية المتنوعة من قواديس وأحواض، وتزوّد ساكنتها بهذه المادة الحيوية(7). كما أُقيمت بمدينة جزائر بني مزغنة تجهيزات سقوية وجداول مائية تروي بساتين المدينة وحدائقها ومتنزهاتها، وتسدّ حاجة ساكنة المدينة بالماء الشروب من العيون المربوطة بها(8). وحتى نُجلِّي ما نتغيّأه من طرح، نُتبع مادة هذه المحطة البحثية بالعرض الموالي:

أ– طبيعة الماء وآليات تأمينه:

ممّا أشارت إليه كتب الفلاحة، وأثبتته بعض الدراسات الحديثة، أنّ أنواع المياه تتفاوت في قيمتها السقوية، وأنّ هناك من أنواعها ما قد يصلح لري مغروس أفضل من آخر ومن يوافق منتوجا أحسن من غيره. فماء الأمطار يعدّ أفضل المياه للسقي والري نظير عذوبته ورطوبته واعتداله؛ حيث تقبله الأرض قبولا طيبا، ويسري في أعماقها بشكل سلس لا يحتفظ السطح له بأثر وهو يتوافق مع كل المغروسات. في الوقت الذي يكون ماء الأنهار متوسطا بين الهوائية والأرضية، يتراوح طبعه بين اليبوسة والرطوبة، وهو مع صلاحه لشتى المزروعات إلا أنّه قد يذهب برطوبة الأرض، وهو مفيد لسقي المزروعات العطرية والخضر على سبيل المثال لا الحصر. أمّا مياه العيون والآبار فعلى ثقلها توافق ما يزرع من الجنات والبساتين. هذا ويعدّ ماء الثلج والجليد والماء الكدر والبحر من أضر المياه بالنباتات على تفاوت في نسبة الضرر بين كل نوع منها وآخر(9). ويُضيف الباحث "بنحمادة سعيد": أنّ

تصنيف المياه إلى أنواع ذات فوائد سقوية، لا يعزى في الغالب الأعم إلى طبيعة التكوين العلمي النظري لعلماء الفلاحة ونوعيته فحسب، وإنّما –كما يراه– إلى خبرتهم بطبيعة الجغرافيا التاريخية[10].

وهو ما يوحي بضرورة معرفة الطبيعة الجغرافية والمناخية، ونوعية التربة، وطبيعة الماء المفيد للسقي[11] من أجل ملامسة غرض الغراسة الناجعة. وممّا أضافه ذات الباحث: أنّ اعتماد التقنية يعدّ من بين الحلول الجيدة لتحصيل ذلك. ومن بين ما أشار به في هذا المضمار: أنّ تقنية الأحواض قد أسهمت بنِسب عالية في تطوير سلالة المزروعات، فعلى سبيل المثال زراعة الورد تقوم على ضرورة احترام أوقات الغراسة في الأحواض، مع مراعاة كذلك الظروف المناخية المحلية، من خلال تقسيم الحقل إلى أحواض، ويتعاهد النبات بالسقي بمعدل مرتين في الأسبوع[12].

أمّا بشأن تأمين الماء وضمان ديمومة حضوره في الحياة الفلاحية وحتى في الحياة الترفيهية، فقد بُذلِت جهود معتبرة من طرف فلاحي المغرب والسُلط القائمة على بساطه في الفترة مدار البحث في بناء السدود على الأنهار والأودية، وربطها بالسواقي، وصناعة النواعير، وحفر الآبار وبنائها. حيث تمّ استخدام مواد أساسية كالحجارة والطين والأغصان والأخشاب والحشائش كمادة لبناء الحواجز المائية والسدود، واستثمروا التراب أيضا لإقامة تلك الحواجز، حتى يتمكّنوا من التحكم في قوة اندفاع الماء في الأودية والأنهار. وكانوا في البعض من الأحيان يُشيّدون في الواد الواحد مجموعة من السدود بعضها فوق بعض. حيث عدّها الباحث "القثاني" من الأساليب الأكثر استخداما للتحكم في المياه، تلك التي تقوم تقنيتها عموما على "معاكسة القوة الجارفة"؛ وذلك بتحويل جزء من النهر أو كلّه إلى قنوات تحمل الماء إلى مزارع معينة[13].

ثمّ إنّه ولذات الغرض أنشأوا عليها السواقي التي تربط بين السدّ أو النهر أو البئر أو العين، حيث يراعي في حفرها مقدار الانحدار لتحديد سرعة الجريان وبلوغ الغرض من السقي، مع الأخذ بعين الاعتبار مسافة الطول بين نقطتي البداية والنهاية أو مصدر الماء ومكان السقي. وقد تكون ظاهرة على السطح أو مخفية في باطن الأرض في شكل قواديس. وهناك السواقي الكبيرة أو الرئيسة التي تسقي بستانا، وقد تتفرع عنها سواقي أخرى أصغر حجما منها تتماشى ونظام السقي وتحتكم لأعرافه، تروي عدّة بساتين في طريقها، مع ضرورة تنظيف السواقي والعناية بديمومة سلامتها[14].

ب– الأرضية المرفوعة:

على اعتبار أنّ المواطن الملائمة للبناء والتشييد تقتضي تفضيل الأماكن العالية لما تمتاز به من طيب الهواء، وقوة المناعة، وامتثالا لنصائح العارفين بأمور البناء والمهتمين بشؤونه وخفاياه من أهل التاريخ والجغرافيا والفلاحة ممّن نصح بتفضيل تلك المواضع شريطة أن تتوفّر على الماء أيضا وموارد الإمداد به، عمد ساسة المغرب الاسلامي لتخطيط المدن على سفوح الجبال وبالمناطق الوعرة وضفاف المنحدرات[15]. وإذا كانت هذه المواضع وتلك النصائح تروم بشكل أساس تأمين الساكنة من العاديات البشرية والغارات والاعتداءات العسكرية، فإنّها في ذات الوقت تخدم الحياة الاقتصادية والأنشطة الفلاحية من حيث ملاءمتها لاستثمار الرصيد المائي وحسن استغلاله في السقي بواسطة السواقي التي تنطلق من الأعالي إلى الأسافل والقواديس المخترقة لباطن الأرض ونحوها من آليات السقي ووسائله.

كما يُنصح في ذات المضمار القائمين على السياسة العمرانية التزيينية بتشييد الحدائق والمتنزهات بالأراضي التي تحوز على نسب معتبرة من كميات الماء على اختلاف موارده ومصادره[16]. وفي هذا الشأن يحدّد علماء الفلاحة معايير

بيئية تكشف الحجب عن مسعى اتخاذ البساتين والرياض والأجنة، كما يؤكد أهل الاختصاص على أهمية عنصر الماء لبناء البساتين، وحسن اختيار مواضعها لتلائم وظيفتها وتفي بالغرض من تشييدها، ومراعاة قربها من الساكنة لتنمو منافعها الاستجمامية والتطبيبية والصحية وتعظم[17]. مع ضرورة أن تتخلّل تلك المراكز الترفيهية الطرق الخاصة بالمارّة المتنزّهين والقائمين على خدمتها، وتكون موزعة بشكل منظم وواضح المعالم، بحيث تمكّن القائمين عليها من القيام بعمليات الريّ والتنظيف والعناية الدائمة بها[18]. وكذا أهمية بناء مقاعد بها للجلوس وتزيينها بالأرائك الخشبية والمبنية المرتفعة عن سطح الأرض في الأماكن المظلّلة[19].

ج– مراعاة الغرض الاستجمامي–الترفيهي:

شكّلت الحديقة في الغرب الاسلامي بشكل عام والأوسط بشكل أخصّ؛ بكونها فضاءً أخضرا وبمكوناتها وعناصرها الترفيهية ومقوماتها الابداعية، أحد الفضاءات التي شدّت الزائر واستقطبته إليها، بحثا عن الراحة والاستجمام والترفيه عن النفس، وحتى ملامسة راحته العقلية والصحية، سواء كانت حديقة عامة أو خاصة، حتى قيل عن الحديقة أنّها الرئة التي تتنفس بها المدن وتشرح الصدور[20]. وأُستخدمت في تزينها النباتات العطرية الزاهية المتعدّدة الألوان والروائح. فالحديقة بهندستها البديعة وتصميمها الجميل والجذاب، تشكّل فضاء جميلا يستهوي الناظر ويشدّه إليه. فزائرها يحس بالمتعة والاسترخاء. كما تعدّ الحدائق أيضا صيدلية منزلية يستفيد أصحابها من النباتات والأزهار المفيدة لعلاج بعض الأمراض[21].

وما كان أمر بعث الراحة النفسية والشعور بانشراح الصدر وتحقيق المتعة الترفيهية الاستجمامية يقتصر على ما تبعث به في النفس المقومات الجمالية التي تنطوي عليها عمارة البيئة كالمجالات المكسوة بالأثواب الخضراء والبنايات المزيّنة بالأشجار والبساتين المرنقة بها والأزهار ونحوها من العناصر النباتية والحيوانية، وإنّما يلعب العنصر المائي دورا محوريا هو الآخر في ملامسة ذلك الغرض إلى

صفّ باقي العناصر السالفة الذكر[22]. فهو أحد المؤشرات البيئية التي تسهم بشكل فاعل في توفير المناخ النفسي الملائم نظير دوره في تلطيف الجو الحراري الذي تعكسه الطبيعة، وتحقيق الرطوبة التي تستطيبها النفس وترنو إليها، فضلا عن المسحة الجمالية التي يُوظّف على شاكلتها العنصر المائي في عناصر الحديقة والعمارة الترفيهية كالنوافير المختلفة التصميم والشلالات الاصطناعية ونحوها من الأشكال الهندسية التي يُستثمر على نسقها الماء تناغما مع الأذواق الفنية البديعة والمتعددة، كالأحواض والبرك الدائرية والمربعة والمستطيلة الشكل والمرتفعة عن السطح أو المنخفضة عنه، والتي تعتبر من عناصر الجذب في الحديقة. فالماء يبعث على الهدوء والراحة في أشكال انسيابه البديعة، والصوت الجميل الهادئ الذي يصدره ذلك الانسياب والذي يذكي الحواس ويوفّر المتعة البصرية، ويلطف الجو ويمتص الحرارة برذاذه المتطاير من النوافير والمتدفق من مخارجه الاصطناعية المتلونة حسب الشكل الهندسي ومديات اندفاع الماء وقوة تدفّقه وطبيعة مخارجه وحجمها[23]. وهو الطرح الذي تتبنّاه الباحثة "بودالية" التي أشارت في دراستها حول الحديقة إلى أنّ استخدام المياه في عمليات تنسيق موضع الحديقة وعناصرها يُضفي نوعا من الجمال في الفراغات العمرانية حيث يعدّ من المقومات الجذابة بشكل لافت وذات قوة تأثيرية على راحة النفس[24].

د- الإبداع الهندسي:

تلعب تقنية الإخراج والصورة العامة لشكل الحديقة وتوزيع عناصرها على فضائها ومستويات الانسجام بين عناصرها مكانة مرموقة في تحقيق الغرض من البناء، وترجمة الرؤى الفنية والأذواق الجمالية الكامنة في النفس والعقل المبدع. ومن ثمّ تفنّن العقل الاسلامي بشكل عام والمغرب أوسطي بشكل مخصوص في بناء حدائق واستثمار عنصر الماء في مكوناتها وهندسة عناصرها، وفق أنماط وتمظهرات بهية بديعة، توزّعت بين الطراز الهندسي المربع والمستطيل والدائري[25].

فبعد تحديد أرض البناء وفق ما يخدم الغرض، تُسيّج بأسوار من البناء أو من الغرس مع اختيار نوع الشجر المناسب لغرسه على الحواف كسدود وحواجز من الأشجار العالية والشوكية التي تتشابك أغصانها وأحراشها، وذلك بشكل منسجم ومتقارب ومنظم. كما تُغرس النباتات المتنوعة وفق الذوق الجمالي الذي يستهوي صاحب البناء والمشرف عليه في مساحات منتظمة مفصولة عن بعضها البعض، مع ترك المشايات والطرق، وتقسيم المداخل والمخارج بشكل متناسق ومتناغم ووظيفي[26]. فضلا عن تنوع مواطن انشائها بين الأفنية الداخلية كأفنية البيوت والقصور والمساجد، أو الفضاءات الكبرى كالبساتين والأجنة التي ثُبِّتت في السفوح الجبلية وعلى المرتفعات وفي السهول[27].

وتحاط الأجنة والحدائق أحيانا بالأسوار المبنية بالحجارة، بحيث تُزوّق تلك الجدران المحيطة وتُزخرف. وفي هذا الصدد يطلعنا ابن خلدون عن أهمية زخرفة الأسوار والاهتمام بذلك في قوله: "**ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التنميق والتزيين، كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يُخمر بالماء**"[28].

2. عيّنات من عمارة الترف بالمغرب الأوسط:

سنحاول في هذه المحطة البحثية التوقف عند بعض مظاهر عمارة الترف أو الحدائق والمتنزهات بالمدن التي أُستخدم بها الماء كمادة حيوية لتزيين تلك المكونات العمرانية، ولإضفاء رونق الجمالية والمسحة الفنية عليها. ومن أبرز ما نُؤثر التوقف عنده ما يأتي ذكره تبعا:

– قلعة بني حماد[29]:

بناءً على ما تُجلِّيه المادة الخبرية بشأن العمارة الحمادية التي تجسّدت في قلعة بني حماد، نلمس أنّ المدينة شهدت حركة عمرانية هائلة، توسّعت مظاهرها وتنوّعت؛ فعلى رأي الجغرافي الإدريسي: أن المدينة المزينة بالقصور العظيمة،

وحفت بالبساتين والجنان الجميلة، وأحاطت بها وتوسطتها الحدائق والمتنزهات، وتجملت بالمزارع الحافلة بالأشجار، تخترقها في كل زواياها ومناحيها مجاري الماء وقنواته[30]. فكانت قصور القلعة الحمادية عينات ناصعة تنطق بمستويات براعة الفن المعماري الاسلامي–المغربي؛ فقد ألبس القائمون عليها قصورها ومساجدها حلّة جميلة، على غرار قصر المنار، قصر الكوكب وقصر السلام، حين أُجريت حولها المياه والبساتين والرياض لتزيينها[31].

– بجاية[32]:

نعتقد أنّ الوقوف على جوانب من الواقع العمراني الذي شهدته المدينة البجائية، والحركية الفاعلة التي شهدتها نهضتها العمرانية، وطبيعة اللمسات الفنية التي أضفاها القائمون عليها على مكونات العمارة في شقّها التزييني–الجمالي، يقتضي منّا أن لا نغفل عن النص الخلدوني والمادة الجغرافية. فالرواية الخلدونية: تفيد بأنّ ملوك بجاية من بني حماد حرصوا حرصا ملحوظا على إحياء الأراضي، وتزيين بوادي وضواحي المدن والقرى بالمزارع على اختلاف أنواعها، كما نصبوا الارحاء على أرجاء الأودية والجداول، وكثّفوا من غرس البساتين والرياض الجامعة لأنواع الأزهار والنباتات المتنوعة، واعتنوا بتشييد الأبنية العجيبة المؤنقة كالقصور والمساجد[33].

لقد تجلّت الهندسة العمرانية في المجال البجائي في العديد من مكونات العمارة، ومنها العمارة التزيينية التي تعتمد الغطاء النباتي والعنصر المائي قواما أساسا في أشكالها الهندسية ومخرجاتها المعمارية، ونحسب أنّ التوسع العمراني الذي شهدته المدينة في الفترة الوسيطة يعد أحد الملامح الكاشفة لذلك. فقد شيدت بها الأسوار والقلاع والجسور والقصور كقصر اللؤلؤة والنجمة وأميمون، وغرست بها البساتين والجنان والمتنزهات، ورُبطت بمصادر الماء وموارده"[34].

ولئن كان حجم الاهتمام الذي حظيت به المدينة في العهد الموحدي لم يرق إلى مصاف ما نالته تحت سقف الحكم الحمادي في باب الاهتمام بالبناء والتشييد والزخرفة شأن ما عرفه المغرب الأقصى، إلا أنّ ما أقامه الموحدون في بجاية يكشف عن اهتمام ملحوظ بالغراسة وإقامة البساتين والحدائق، حيث اعتنوا بها عناية كبيرة بلغت من الرونق والتأنق الفائق[35]. ويصفها الحسن الوزان في فترة متأخرة، بأنّها المدينة الغنية بالصروح البديعة البناء، والدور الجميلة المنمقة في كلّ الأنحاء، وبحدائقها الكثيفة الغنّاء، وجدران قلاعها المزخرفة بالجصّ المجزّع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازرود العجيبة والفسيفساء. كما يُحيط بالمدينة عدد لا يُحصى من الحدائق العامرة بالأشجار، لا سيّما من جهة الباب المؤدي إلى ناحية الشرق[36]. ولعلّ تلك المظاهر العمرانية في مجال الحديقة والمتنزهات تعكس لنا صورة الذوق الفني والحس الجمالي العالي الذي تحلّى به أهل بجاية، وترجموه على ضوء ما زيّنوا به قصورهم وبيوتهم ومساجدهم، وما ألحقوه بها من مساحات التسلية والترفيه وفضاءات التنزّه ومراكز الترف. ومن الحدائق البجائية: حديقة الرأفة أو الرفعة، وهي الحديقة الكائنة في أسفل قصر النجمة، والتي كانت محاطة بأسوار متينة[37]

– مدينة تلمسان[38]:

ترد هذه المدينة في النص الجغرافي الرَحلاتي على أنّها: المدينة ذات القصور البديعة ببساتينها وسقاياتها المبنية بعناية تامة وأسلوب فني رائع حتى عُدّت قاعدة المغرب الأوسط[39]. ولقد تنامت حركية التطور الذي شهدته العمارة التلمسانية على امتداد فترات حكم الأنظمة التي تعاقبت على سياسة شؤونها، منذ العهد المرابطي وحتى الزياني. حيث ترك الفن المرابطي بصمته ولمسته الفنية في جوانب عدّة من عمارة تلمسان سيّما العمارة الدينية على يد الفنانين والمهندسين المعماريين الأندلسيين. وتنامى حجم الاهتمام بشكل فاعل في العهد الزياني حتى باتت قصور

الملك بتلمسان في غاية الجمال والحسن كما يصفها ابن خلدون[40]. كما شيدوا الحدائق والمتنزهات وأقاموا البساتين والجنان[41]، ونظّموها وتفنّنوا في ذلك وأبدعوا، مستعينين بمهرة الفعلة والصنّاع من الأندلس وغيرها من بلاد المغرب. وهو ما يقوّيه النص الخلدوني المشيد بجهود آل زيان في عمارة التزيين والترفيه حين اختطوا القصور المؤنقة وشيدوا المنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين البديعة، وأجروا في ساحاتها المياه المتدفقة، وبنوا الأحواض العامرة [42]. وكان من أبرز الحدائق وأحواض المياه التي تزيّنت بها قصور ومساكن تلمسان الزيانية الحديقة والصهريج بقصر المشور الذي شيده السلطان الزياني يغمراسن بن زيان 633-681هـ/1235-1282م)، سنة (650هـ /1252م) واتخذه ملوك بني زيان من بعده بلاطا لهم[43]. وهو عبارة عن قلعة أو قصبة تقع في جنوب المدينة، تحيط به قصور عديدة مبنية بأسلوب معماري فني بديع ومزينة بزخرفة بهية، وتتخلله أحواض الأزهار والأشجار المثمرة، ونافورات الماء. بالإضافة إلى حدائق قصر "أبي فهر"، وقصر الأمراء بأكادير، والقصر القديم بجانب الجامع الأعظم. وكان السلطان أبو تاشفين ابن أبي حمو الأول (718-737هـ/ 1318-1338م) من أكثر سلاطين بني زيان ولعا بالبناء والتزويق والمباهات بالمنشآت العمرانية، لما يمتاز به من ذوق فني رفيع وحاسة جمالية عالية، فقد كان مولعا ببناء القصور، وغرس الرياض والساتين وانشاء المتنزهات[44].

ولم يقتصر أمر نظام البستنة ومظاهر العمارة التزيينية على ما تحتضنه المدينة الأمّ تلمسان، وإنّما شهدت المناطق التابعة لمملكتها حركية ملحوظة في مجال البناء والتشييد خلال العهد الزياني بشكل أساس، فقد احتوت على سبيل المثال، مدينة "ترنانا" التي تبعد عن مدينة ندرومة بعشرة أميال الواقعة على ساحل البحر في شكل ميناء ومرسى للسفن، على مجموعة من الأنهار، تروي بساتينها وأشجارها الكثيفة، وتسدّ حاجات مغروساتها من الماء المتنوعة. وهي من المدن

التي استوطنها الأندلسيون وأسهموا في تطوير عمارتها وحركية البناء والتشييد بها[45]. وكذلك مدينة مستغانم التي عرفت خلال القرن الخامس الهجري (11م) انتعاشا اقتصاديا، وكثرة البساتين والجنات وغزارة المياه. بما يوحي بنوع من رفاهية عيش ساكنتها ورغده[46]. كما تشير المادة المصدرية إلى أنّ مدينة تلمسان قبل العهد الزياني كانت مربوطة بوادي مشكانة بواسطة عدة قنوات. وفي العهد الزياني تمّ تدعيم تلك الشبكة حيث غيّروا النمط السائد ومناطق الإمداد، وربطوا المدينة بمجموعة من القنوات والسواقي الموصولة بنهر سطفيسف، وتمّ دفنها تحت الأرض وبشكل سري تام، ثمّ قاموا بوصلها بالصهريج الكبير المقام من طرف ابن تاشفين، باعتباره من الشخصيات الزيانية التي تركت بصماتها الخالدة في مجال النهضة العمرانية خلال العهد الزياني[47].

كما إنّ من بين استخدامات الماء في المنشآت المائية الكمالية التي أشارت إليها النصوص المصدرية في المجال الجغرافي التلمساني، ما تعلّق بإنشاء النافورات والأحواض في الحدائق والمتنزهات المشيدة خارج أسوار المدينة، تقصدها الساكنة للتنزه والترفيه والاستمتاع بمناظرها الطبيعة الجذابة، وذلك على غرار الحدائق المحيطة بها كحديقة "منزه وادي الصفصيف"، و"ساقية الرومي"؛ التي تسمى اليوم بساقية النصراني، والشلالات، وكدية العشاق، وغدير الجوزاء، ومنزه البركة العظيمة التي كانت قرب المدينة في شكل بستان بهي عُدَّ من أبرز متنزهات تلمسان، ومنزه "الظاهري"، و"استراحة برج الكيس"، وجبل "لالا سيتي"، وجنّات الوريط وشلالتها الساحرة، وجنان "بركانة"، والحدائق المحيطة بالصهريج الكبير الغنية بالبساتين والأشجار[48]. كما أقاموا داخل الحديقة وفي صحون القصور بركا مائية وكثّفوا من أشجار بساتينها، وتنوّعت مظاهر الفنون الزخرفية التي زيّنوا بها مقوماتها العمرانية؛ حيث تنسجم تلك البساتين مع الأفنية الداخلية، تكون أشجارها

منسوجة في صفوف متناسقة توحي بتداخل بديع بين الخط والظل، وتزخر بالنباتات ذات الروائح العطرة[49].

3- عقبات استثمار الماء في الحياة الترفية-الترفيهية:

على الرغم من الاهتمام الملحوظ من لدن القائمين على البلاد المغرب أوسطية خلال الحقبة الخاضعة للمدارسة بنظام البستنة وبناء الحدائق وتزيينها واستثمار الموارد المائية في عمليات التزيين، فإنّ ذلك لا يعني خلو سبيلهم من عقابيل، كانت تؤثر في البعض من الأحيان على سلاسة عملية الاستغلال وتعيق جهود القائمين عليها، وذلك من قبيل:

أ- النزاع حول الماء:

فقد أخذت مشكلة الماء حيزا رهيبا في قضايا النزاع بالمغرب الاسلامي بشكل عام والمغ
تزامنا وفترات قلة الماء، ونضوب روافد الأنهار وشحّ العيون، وحبس المطر وقلّته في الصيف أو فترات الجفاف، تُسهم في تنامي حدّة النزاع حول الماء لري المغروسات الحيوية أو حتى الترفية ضمن نظام البستنة الذي تقوم عليه الحديقة المغربية[50].

ب- الصراعات العسكرية والحروب:

ساهمت مظاهر الصرع وصنوف الحرب التي شهدتها البلاد المغربية، ومظاهر الاضطراب التي اصطبغ بها المشهد السياسي والعسكري في البعض من فترات الدول التي ساست المجال المغرب أوسطي خلال الفترة الزمنية المؤطرة لحدود البحث، سواء صنوف الانتزاء ومظاهر التمرّد ونحوها من التقلبات التي عكّرت صفو حياة الساكنة، وأسهمت في تعطيل سيرورة أنشطتها الاقتصادية؛ حين فُقِد الأمن، وأُطلقت أيدي النهب والتخريب والإفساد عقب بعض الحروب التي لم يسلم منها لا البشر ولا مكونات العمارة ومظاهرها[51].

ج- التقلبات الجوية والاضطرابات المناخية:

بحكم أنّ الأمطار تعدّ المموّل الرئيس للثروة المائية التي تحتويها البلاد المغرب أوسطية، وأنّ مياهها هي المصدر الأساس المُغذي للموارد المائية المغربية من أنهار وعيون وبحيرات ومياه جوفية، فإنّ مظاهر التقلبات الجوية والاضطرابات المناخية تتحكم في نسبة ذلك الامداد ومستويات تلك التغذية؛ على اعتبار أنّ شح المطر وانعدامه في سنوات الحبس أو قلّة كمياته في مواسمه يسهم في إحداث إزم اقتصادية ومنها مشكلة المياه، إذ يذكر مرمول كربخال بأنّ الموسم الذي تسقط فيه الأمطار بشكل معتبر هو فصل الشتاء، ففي تلمسان يذكر كربخال أن موسم سقوط الأمطار يتزامن وأواخر شهر أكتوبر؛ حيث تنزل في سبتمبر وعلى مدار فصل الشتاء أمطار غزيرة، وأحيانا ثلوج كثيرة، إلى درجة أن السكان يضطرون أحيانا كل صباح إلى إزالة تلك الثلوج المتراكمة أمام الأبواب حتى يتمكنوا من الخروج منها لقضاء حوائجهم. وأضاف بأنّ هناك فترات امتازت بالجفاف، حيث إذا لم يسقط المطر في إحدى المرات من 25 أبريل إلى الخامس من شهر ماي[52]. وبذلك تجف بعض العيون نسبيا وتختفي أخرى ويقل منسوب الماء في بعض الآبار وينقطع في غيرها، وهذا يؤثّر بشكل ملحوظ على نسبة التدفق المائي وحجم الاستغلال؛ حيث يُعمد عندئذ إلى سياسية الاقتصاد في استخدام الماء في بناء وتموين تلك المنشآت الترفيهية والتزيينية لصالح الاستعمال للشرب والحاجات الضرورية من خلال استثمار المياه الجوفية والمخزنة في باطن الأرض كالآبار والعيون والينابيع حسب الامكانات المادية والوسائل المتاحة[53].

وعليه، وفي اطار سياسية وقائية وتفاديا للتقلبات الجوية المحتملة اتجهت عناية القائمين على البلاد المغرب أوسطية خلال الفترة الخاضعة للدراسة لاستثمار الرصيد المائي الجوفي، حيث اهتموا باختيار الأوقات المناسبة لحفر الآبار –كانت مهمة الحفر توكل للحفارين والأجير لكون حفرها يتطلب مجهودا كبيرا مقارنة ببناء السدود وفق أجر معلوم–[54]؛ حيث يتحينون فرصة اقتراب المياه إلى سطح الأرض

ويتم استغلالها كمصدر هام في السقي[55]. كما أقاموا السدود على الأودية لحجز المياه والاستفادة منها سواء سدود ترابية أو حجرية أو اسمنتية أو خشبية–ترابية[56]. وشيّدوا السواقي، وصنعوا النواعير لرفع الماء من الأنهار والسدود لسقي مغروساتهم[57]. ومن الشواهد على ذلك: أنّ تلمسان تمّ تزويدها من مجموعة من مصادر مياه متنوعة كالأنهار المنحدرة من أعالي الجبال، والينابيع والعيون التي تتدفق في مجالها وأرباضها بواسطة قنوات في شكل أنابيب تحت الأرض، توصل مياهها بالدور والمنازل والقصور والساحات العامة والأسواق. ولم يكتف أهل تلمسان بذلك بل راحوا يحفرون الآبار داخل بيوتهم لسدّ العجز المحتمل من الماء، لاستخدامه في الشرب وسقي الحدائق المنزلية، وحتى كذلك في بعث الصفاء النفسي من خلال وضع النافورات المستلهمة لمياهها من هذه الآبار[58].

خاتمة:

على ضوء المادة الخبرية التي احتضنتها هذه الدراسة، كان من بين أبرز ما استوقفنا عنده كنتائج نُذيّلها بها، النقاط التي يأتي ذكرها تبعا:

- شكّل الماء مادة جدّ ضرورية في بناء العمارة الاسلامية في شقّها التزييني–الترفيهي، وعنصرا حيويا ضمن مكوناتها المعمارية؛ حيث أضفى استخدامه كمقوم من مقومات التجميل لمسة فنية بديعة، تُثير اهتمام الناظر وتسترق نظره إليها.
- مثّلت الحدائق والمتنزهات العامة مواطن استقطاب للاستجمام والراحة، كما عبّرت الحدائق الخاصة التي زُيّنت بها القصور والمساكن عن مستويات الذوق الفني والحس الجمالي الذي تمتّع به الفرد المغربي، حين تشبّع بالثقافة الفنية، وعاش حياة الاستقرار والرفاهية، وتجاوز تحقيق مطالب الحياة الضرورية إلى تلبية حاجاتها الترفية–الترفيهية.
- لعب الماء دورا محوريا في قضايا النزاع التي عايشها الفلاح المغربي سيّما في مجال أنظمة الري والبستنة.

– شكّل الاهتمام بعمارة الحدائق والمتنزهات نتيجة حتمية من نتائج التطور الذي شهدته الحركة العمرانية بالبلاد المغربية، وأثرا من آثار حياة الرفاه والترف التي أضحت عليها الساكنة المغربية لاسيّما في المناطق الحضرية.

– أبدع العقل البشري في صياغة أنماط عمرانية في مجال البناء الحدائقي والعمارة التزيينية، مستثمرا مفرزات النهضة الفكرية والثقافية التي عرفتها البلاد المغربية في العصر الوسيط.

– تنوّعت مكونات العمارة الحدائقية وبناءات التنزّه من حديقة لأخرى ومن متنزّه لأخر، تبعا للذوق الفني المتّبع، والهندسة المعمارية المنتهجة، ونمط استثمار الماء وأسلوب استخدامه في التزيين.

الهوامش:

(1)– متعب بن حسين القثامي: أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، الجزائر، 1435هـ/ 2015م، ص83.

(2)– بودالية: تواتية: الحديقة الأندلسية، مجلة عصور، العدد 24–25، جامعة وهران، الجزائر، 2015،ص65.

(3)– وزيري: يحي: العمارة الاسلامية والبيئة "الروافد التي شكلت التعمير الاسلامي، مطابع السياسة، الكويت، 1425هـ/2004م، ص217.

(4)– سياب خيرة: المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الاسلامي (7–10هـ/ 13–16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/ 2014م، ص136.

(5)– وهي حياض يجمع فيها الماء، أو بركة عظيمة عليها سيول يصب فيها النهر، انظر: ابن منظور، جمال الدين (ت 711هـ/1312م): لسان العرب المحيط، مج7، قدم له، يوسف خياط، (د.ط)، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، 1408هـ–

1988م، ص:312، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تح، كمال سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان ،1971، ص86.

(6)- عبارة عن منشأة تجمع فيها مياه الأمطار وفائض الأودية، وتكون على شكل برك فسيحة تَأْخُذ غالبا الشكل الدائري، والمستدير ، وتختلف عن الصهاريج بأنها مكشوفة، ابن منظور، المصدر السابق،ج12، ص:616.

(7)- روبار برونشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م،ج1، تر: حمادي الساحلي ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص: 219.

(8)- مجهول : الاستبصار ، ص:130-183، الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2، ص:37-38، مرمول كربخال : المصدر السابق، ج 2، ص: 356-373.

(9)- بنحمادة سعيد: أثر التقاويم الفلاحية في تطوير البستنة بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، العدد 14-15، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/2014م، ص112.

(10)- المرجع نفسه، ص112.

(11)- سياب خيرة: المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الاسلامي (7-10هـ/ 13-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/ 2014م، ص58.

(12)- بنحمادة: المرجع السابق، ص112.

(13)- القثامي: المرجع السابق، ص85.

(14)- المرجع نفسه، ص83-85.

(15)- ابن خلدون: المقدمة، ابن خلدون: المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 2005، ص 280، ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، تح، محمد بن عبد الكريم، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت)، ص 766.

(16)- انظر في هذا السياق، سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ،1998، ص1411.

(17)- بودالية: المرجع السابق ،ص64.

(18)- شفيق أمين بعارة: "الحديقة في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية لمدلولها الرمزي و وظيفتها المعمارية" ، أطروحة ماجستير في الهندسة المعمارية ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح ، نابلس ، فلسطين ،2010، ص85.

(19)– سلمى الجيوسي: المرجع السابق ،ص1418. شفيق أمين بعارة: المرجع السابق ،ص62 وما بعدها.

(20)– بودالية: المرجع السابق، ص55-56..

(21)– شفيق أمين بعارة: المرجع السابق ،ص13.

(22)– وزيري: المرجع السابق، ص208.

(23)– وزيري: المرجع السابق، ص216، بودالية: المرجع السابق ،ص65-67.

(24)– بودالية: المرجع السابق ،ص65.

(25)– سلمى الجيوسي: المرجع السابق ،ص874، نادية مباركي: "دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد الرابع، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر،2011 ،ص198-199-200.

(26)– بودالية: المرجع السابق، ص70.

(27)– المرجع نفسه، ص70.

(28)– ابن خلدون: المقدمة، ص329. انظر كذلك: شاكر لعيبي: الفن والحرف الفنية لدى ابن خلدون المدينة الخلدونية الفاضلة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2010، ص33.

(29)– اختطّها حماد بن بلكين سنة 398هـ/1007-1008م، للتفصيل، انظر: الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1414هـ-1994م ،ص255، عبيد بوداود: "مساهمة علماء القلعة في الحياة الفكرية ببجاية خلال القرن السابق الهجري (13م)"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد العاشر ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1430هـ-2009م.

(30)– الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص255.

(31)– عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ضبطه ،خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،1420هـ /2000، ص232.

(32)– خطّها الأمير الحمادي الناصر بن علناس وجدّد بناءها سنة 460هـ/1067م وسمّاها الناصرية، للتفصيل، انظر: مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط2 ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد, العراق، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص129، الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، ج2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ،1983، ص50.

(33)- ابن خلدون: العبر، ص 232.

(34)– بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ص62.

(35)– ابن خلدون: العبر، ص 232، محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص160، عبد العزيز صلاح سالم: التراث الفني الاسلامي في المغرب، تقديم عبد الحق المريني، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2015، ص85.

(36)– الوزان الفاسي: المصدر السابق ،ص50.

(37)– يحياوي عزالدين: تطور العمران الاسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص25.

(38)- انظر بشأن تاريخ بناء هذه المدينة وتطور عمرانها، محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تح، أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر، ص 09-11، يحي بو عزيز: تلمسان، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 ،ص15.

(39)- العبدري: المصدر السابق، ص 09-11، الوزان الفاسي: المصدر السابق ،ص20. والمدينة التلمسانية تزخر بثورة مائية هائلة توفّرها لها الأنهار والأودية فضلا عمّا تحتويها في جوفها من مياه باطنية، ومن أبرز ألأنهار التي تستفيد منها: نهر تافنا، نهر سفسف أو الصفصاف، الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص20.

(40)- ابن خلدون: العبر ،ج7 ،ص104.

(41)- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ، تقديم وتصحيح ،محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989 ،ص485.

(42)- ابن خلدون: العبر ،ج7 ،ص105.

(43)- فيلالي: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص114.

(44)- المرجع نفسه، ص**114-122**.

(45)- مجهول: الاستبصار، ص135، الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص25.

(46)- إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1980**.ص25.

(47)- فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 150، بسام شقدان: المرجع السابق ،ص: 179.

(48)- ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ،ج1، مطبعة بيير فونطانا الشرفية، الجزائر، 1322هـ /1904م، ص16، فيلالي: المرجع السابق، ص153-154، بريشي درويش: تطور المسكن الاسلامي في مدينة تلمسان دراسة فنية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012، ص47 وما بعدها.

(49)- سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ،ج2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ،1998 ،ص850.

(50)- للاستزادة في هذا الشأن، انظر: القثامي: المرجع السابق، ص86-87.

(51)- وقد فصّل في هذا الأمر أحد الباحثين كاشفا مستويات حضور الماء في قائمة أسباب الحرب ودواعيها، انظر: محمد أستيتو: الماء والحرب في تاريخ المغرب: أية علاقة؟، مقال ضمن كتاب الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، المغرب، 1996، ص177-180.

(52)- مرمول كربخال: إفريقيا : ج1، تر: محمد فقي وآخرون ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب، 1984، ص31-33.

(53)- للتفصيل في هذا السياق، انظر: بن عميرة محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، **2005**، ص**90** وما بعدها.

(54)– القثامي: المرجع السابق، ص83.

(55)- بنحمادة: المرجع السابق، ص113.

(56)- سياب خيرة: المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الاسلامي (7-10هـ/ 13-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/ 2014م، ص110..

(57)- بن عميرة: المرجع السابق، ص115.

(58)- فيلالي: المرجع السابق، ص149، سياب: المرجع السابق، ص72.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1- ابن خلدون: المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 2005.

2- عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ضبطه ،خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،1420هـ /2000.

3- ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، مطبعة بيير فونطانا الشرفية، الجزائر، 1322هـ /1904م.

4- الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1414هـ-1994م.

5- ابن منظور جمال الدين (ت 711هـ/1312م): لسان العرب المحيط، مج7، قدم له، يوسف خياط، (د.ط)، دار الجيل و دار لسان العرب، بيروت، 1408هـ-1988م.

6- ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، تح، محمد بن عبد الكريم، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت).

7- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تح، كمال سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان ،1971.

8- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، ج2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ،1983.
9- العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تح، أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر.
10- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط2 ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد, العراق، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986.

ثانيا: المراجع:

11- المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1425هـ/ 2004م.
12- القثامي متعب بن حسين: أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، الجزائر، 1435هـ/ 2015م.
13- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب1989.
14- إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
15- محمد أستيتو: الماء والحرب في تاريخ المغرب: أية علاقة؟، مقال ضمن كتاب الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، المغرب، 1996.
16- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، تقديم و تصحيح ،محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989.

17- بنحمادة سعيد: أثر التقاويم الفلاحية في تطوير البستنة بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، العدد 14-15، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/2014م.
18- بن عميرة محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005.
19- بريشي درويش: تطور المسكن الاسلامي في مدينة تلمسان دراسة فنية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012.
20- بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1429هـ/ 2008م.
21- بودالية تواتية: الحديقة الأندلسية، مجلة عصور، العدد 24-25، جامعة وهران، الجزائر، 2015.
22- برونشفيك روبار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م،ج1، تر: حمادي الساحلي ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988.
23- عبد العزيز صلاح سالم: التراث الفني الاسلامي في المغرب، تقديم عبد الحق المريني، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2015.
24- عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
25- سياب خيرة: المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الاسلامي (7-10هـ/ 13-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/ 2014م.
26- سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ،1998.

27- شفيق أمين بعارة: "الحديقة في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية لمدلولها الرمزي و وظيفتها المعمارية" ، أطروحة ماجستير في الهندسة المعمارية، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين ،2010.
28- شاكر لعيبي: الفن والحرف الفنية لدى ابن خلدون المدينة الخلدونية الفاضلة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2010.
29- عبيد بوداود: "مساهمة علماء القلعة في الحياة الفكرية ببجاية خلال القرن السابق الهجري (13م)" ،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد العاشر ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 1430هـ-2009م.
30- نادية مباركي: "دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد الرابع، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر،2011.
31- مرمول كربخال: إفريقيا : ج1، تر: محمد فقي وآخرون ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب، 1984.
32- وزيري يحي: العمارة الاسلامية والبيئة "الروافد التي شكلت التعمير الاسلامي، مطابع السياسة، الكويت، 1425هـ/2004م.
33- يحياوي عزالدين: تطور العمران الاسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2001-2002.
34- يحي بو عزيز: تلمسان ،الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.